سون أتزو

فن الحرب

Art of War

تقديم وتعليق: أحمد ناصيف

Sun Tzu



فن الحرب

سون آتزو

Art of War

Sun Tzu

اسم الكتاب: فن الحرب

إعداد: أحمد ناصيف

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٩/٢٢٨٧٠

الترقيم الدولى: 1 -513 - 376 - 977 -978

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٧٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد - ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثانى - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠١٠

سوريا- دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢/٢٣٩٣٣٦٧١

لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٣٤١٨٦ تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب ٣٠٤٣ الشويفات

darkitab2003@yahoo - com - darkitab - nassif@hotmail - com

عنوان الموقع: www-darketab-com - عنوان البريد الألكتروني التابع للموقع: info@darketab-com

فن الحــــرب

سون اتزو

Art of War

Sun Tzu

تقديم وتعليق

أحمد ناصيف

الطبعة الأولى

الناشر

دار الكتاب العربي

٢٠١٠

تقديم

لم يكن من الغريب أن يُعتَبَر كتاب " فن الحرب " أحد أهم مائة كتاب في تاريخ البشرية .

فقد اشتهر هذا الكتاب في المحافل العسكرية وبين المتخصصين في العلوم الاستراتيجية بأنه "الكتاب المقدس للدراسات العسكرية."

وفصول الكتاب الثلاث عشرة لا تأتي سردا لأحداث معينة، بقدر ما هي جمل أو فقرات إشارية ذات مغزى تكتيكي عام، سوف نختار بعضها لتوضيح أفكار الحكيم الصيني سون أتزو الصالحة لكل زمان ومكان.

أول ترجمة لهذا الكتاب كانت منذ مائتي عام إلى الفرنسية، وأن القادة العسكريين استفادوا منه في عملية "عاصفة الصحراء" ١٩٩١، وقبلها استفاد منه نابليون والقادة الألمان، ويتضح من ذلك أن الكتاب الذي وضع منذ حوالي ٢٥ قرنا لا يزال صالحا للتطبيق حتى اليوم في مجال إدارة الصراع، ليس الصراع العسكري فحسب، ولكن الصراع على عدة مستويات: الفردية، والجمعية، والقومية، والدولية، وليس في المجالات العسكرية فحسب، ولكن أيضا في المجالات السياسية والإدارية وحتى الرياضية.

كتاب سون أتزو يتبدي على شكل موجات , ينتقل من تحديد الأمور والمبادئ والترتيبات الرئيسية بوضوح , ثم يمسك بيد القارئ الذي أوشك أن يشعر أنه - أي القارئ - وصل إلى بر الأمان , يمسك بيده يدعوه إلى تأمل ما هو الأهم .

والأهم ، المرة تلو المرة ، إنما هو البعد السياسي، المعنوي، وفي نهاية المطاف البعد الإنساني، من هنا جاء تركيز سون اتزو على شروط الوحدة بين القائد والشعب , التي وجدها تضمن ثبات الداخل ـ أي الوطن في لغة العصر ـ وتمكنه

من تعبئة جميع طاقاته البشرية والمادية والمعنوية , بحيث إن القيادة الحكيمة الناجمة إنما هي القيادة التي تعتمد على الوئام بين القائد وشعبه , أي على اتباع سياسة تتسبب في تعايش الشعب مع زعمائه في وئام .

و تروي المخطوطات الصينية أن " سون أتزو وو " والمعروف اختصارا باسم " سون أتزو " كان مواطنا وجنديا في مملكة " تشي " بالصين القديمة ، وبسبب ذيوع خبرته في فنون الحرب، أشار كبار القادة العسكريين على الملك " هو لوو " أن يستعين به، فطلب منه الملك أن يضع خلاصة تجاربه في كتاب، فكان «فن الحرب»س. عندها سأله الملك: لقد قرأت كتابك " فن الحرب" فهل يمكنني وضع نظرياتك تحت اختبار بسيط؟

فأجابه بنعم. واقترح أن تكون التجربة على جواري الملك ، فوافق .. وتم تجهيز قرابة ٣٠٠ امرأة من جواري قصر الملك وقسمتهن إلى مجموعتين، واختار على رأس كل مجموعة إحدى المحظيات وألبسهن الدروع وأمرهن بأن يتسلحن بالسيوف والحراب في أيديهن .

ثم قال: " أتعلمن الفَرْق بين المقدمة والمؤخرة ، واليدين اليمنى واليسرى؟ "، فأجابته النسوة بنعم.. ثم قال: عندما أقرع الطبول وأطلب، انظرن أمامكن، عليكن النظر للأمام.

وعندما أقرع الطبول وأقول: " دُرْن لليسار " يجب عليكن الامتثال للأوامر. وكذلك الحال باتجاه أيديكن اليمنى ، وعندما أقرع الطبول وأقول: " دُرْن للخلف« " يجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليمنى إلى ورائكن.

وردت النسوة بالموافقة وفهم ما قال. فقام " سون أتزو " بإعداد الترتيبات وأعطى أوامره: " دُرْن لليمين " ، لكن النساء انفجرن بالضحك ولم ينفذن الأمر.

فقال: " إذا كانت كلمات الأوامر غير واضحة ومميزة وغير مفهومة فيقع اللوم على القائد "، ثم أكمل فأعطى أوامره: " درن لليسار "، لكن النساء انفجرن بالضحك ولم ينفذن الأمر.

فقال : " إذا كانت الأوامر واضحة ومميزة ومفهومة ولم ينفذ الجنود الأوامر فالخطأ يقع على الجنود ".

وكرر الأوامر ثلاث مرات وقرع الطبول بيديه، ولما لم يتم تنفيذ الأوامر أمر بإحضار القاضي العسكري وسأله في ساحة الميدان: ما جزاء عصيان الأوامر العسكرية؟ فأجابه: " العقاب فصل الرقاب ". وعليه، أمر " سون أتزو " بقطع رقبة قائدتي المجموعتين أمام النسوة.

وكان الملك يراقب ما يجري ولم يسره ما شاهده فأرسل وراء " سون أتزو" قائلا: " لقد أصبحت واثقا من قدرتك على التعامل مع الجنود، ولن يلذ لي طعام أو شراب من دون هاتين الجاريتين " .

فرد على رسالة الملك: " بتكليفكم لي قيادة قواتكم العسكرية، هناك بعض أوامركم لا يمكنني قبولها وأنا تحت هذا التكليف ".

وتم إعدام القائدتين أمام النسوة.. وعلى الفور تم تعيين أخريين قائدتين ممن تليهما بالحظوة عند الملك، وتم استئناف التدريب، فلم يضحك أحد وتقدمت النسوة في التدريبات على قرع الطبول من دون أي تلكؤ.

ثم أرسل " سون أتزو " إلى الملك قائلا: " لقد تم تدريب كل النسوة وهن على الاستعداد للاستعراض، يمكنكم استخدامهن في أي غرض يشاؤه الملك، أصدر لهن الأمر فيخضن خلال الماء والنار ". فرد عليه الملك: " فليعد قائد الجيوش ولينهي التدريب، فلا رغبة عندي في استعراض النسوة ".

عندها قال " سون أتزو ": الملك مغرم بالكلمات فقط، ولا يستطيع ترجمتها إلى أفعال. لكن الملك عينه القائد العام للجيوش وأرسله ليحارب مملكة " تشوف " المجاورة فهزمها وشق طريقه إلى عاصمتها " ينغ " ثم إلى الشمال، حيث زرع الخوف في مملكتي " تشي " و" تشن " ومن نصر إلى آخر حتى ذاع صيته وتوسعت المملكة بعد ان انتصر " سون تزو " بجيش قوامه ٣٠ ألف جندي على جيش العدو، قوامه ٢٠٠ ألف جندي، بسبب افتقار العدو إلى عنصريّ التنظيم والإدارة.

و عودة إلى الكتاب الذي ننقله لك عزيزي القارئ .. كتاب " فن الحرب " الذي حرصت القيادة الأميركية على أن يحمله كل جندي ذهب إلى حرب تحرير الكويت لقراءته، والذي اعتادت الشركات اليابانية على أخذ النصائح التي حفل بها من أجل تطبيقها.

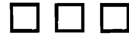
هذا الكتاب الذي يمكن تطبيق ما جاء فيه في عالم الاقتصاد والتجارة والسياسة والرياضة ، فهو لا يركز على تحقيق النصر فحسب ، بل أيضا على تجنب الهزيمة و تقليل وتفادي الخسائر بأكبر قدر ممكن .كما يشرح كيف يمكن أن يتحقق النصر مع تجنب القتال إذا كان ذلك ممكنا .

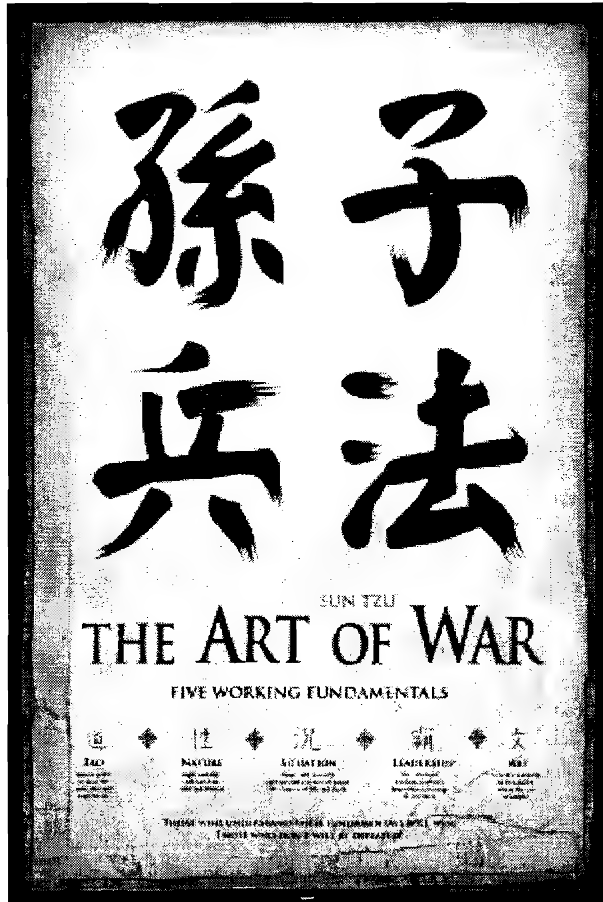
أحمد ناصيف

الجزء الأول

(١)

"فن الحرب" وكاتبة "أتزو" دليل القادة لكل العصور!!





يعتبر كتاب "بنج- فا" أو "فن الحرب" أو"Art of war " لـ سون أتزو Sun Tzu لهو واحد من أهم وأندر المخطوطات القديمة في تاريخ العالم كله وأحد أشهر وأهم الكتب الصينية ، وتعود الأهمية الفائقة لهذا الكتاب على الرغم من أن الكتاب قد تم تأليفه قبل الميلاد، إلى بقاء معظم ما جاء فيه من مبادئ صالحاً للتطبيق حتى يومنا هذا رغم مرور ما يزيد عن أكثر من ألفي عام على كتابته، ما جعله الكتاب الاستراتيجي الأهم بلا منافس. فإن المبادئ والأفكار التي ذُكرت في الكتاب يتم تدرسيها والاستفادة منها، ليس في المجال الحربي فحسب، وإنما في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتجارية بل وحتى في المباريات الرياضية !!

كاتبه - سون أتزو- هو القائد الأعلى لجيش مملكة وو، وهو خصص كتابه هذا لصفوة القادة العسكريين في زمنه، على أن نصائحه وإرشاداته استوعبها الجميع وحتى يومنا هذا، بداية من محاربي الساموراي اليابانيين الأشداء، ومروراً برائد نهضة الصين ماو زدونج، وانتهاء برجال الأعمال المتمرسين في وقتنا الحاضر.

لتواضع إمكانيات تقنية الكتابة وقتها، جاءت كتابات سون أتزو في جمل قصيرة ومختصرة، أتعبت المترجمين من دقة اختيار كلماتها، وأثارت دهشة القارئين لصلاحيتها للتطبيق في كل مكان وزمان.

" فن الحرب " لا يركز على تحقيق النصر وحسب، بل أيضاً على تجنب الهزيمة وتقليل وتفادي الخسائر بأكبر قدر ممكن، ويشرح كيف يمكن تحقيق النصر مع تجنب القتال إذا كان ذلك ممكناً، ولعل ذيوع شهرة هذا الكتاب تعود كذلك لإمكانية تطبيق ما جاء فيه في عالم الاقتصاد والتجارة والسياسة والرياضة، وفي كل مجال تقريباً. فهي مجموعة من المبادئ العسكرية الصينية كتبت قبل ٢٣٠٠عام، وقد وضعها الفيلسوف العبقري العسكري الصيني سون تزو لضمان النصر العسكري بأقل التكاليف وأسرع الطرق. ولا يتجاوز كل مبدأ سطراً أو سطرين مرتبة في فصول. فالكتاب يشتمل على ستة آلاف جملة/ مقطع، ضمن ١٣ باب/ مقالة، يجسد خلالها الأفكار العسكرية

لسون تزو، واحتوى كذلك من بعده على شرح وتعليق من كبار القادة العسكريين الصينيين الذي تلوا سون تزو.أُطلق على "فن الحرب" أول كتاب عسكري قديم في العالم، والكتاب المقدس للدراسات العسكرية، واستُخدمت الأفكار النظرية والأفكار الفلسفية في الكتاب في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها بصورة واسعة.

لم يقتصر مجال هذا الكتاب على المجال العسكري والحربي فحسب، فلقد ألَّف " تشن بينغ" كتاباً بعنوان:"فن الحرب لـ سون تزو والأعمال الإدارية"، وأيضاً كتب "شي جيون" كتاب:"فن الحرب لـ سون تزو وإدارة الأعمال التجارية"، وهناك العديد من الكتب الأخرى التي تقتبس من كتاب فن الحرب .. فلقد تم تأليف أكثر من ١٠٠٠ كتاب لشرح كتاب فن الحرب في الصين وحدها !!

وعلى الصعيد العسكري قال القائد البريطاني المارشال مونتجمري: "إنه لمن الضروري إدراج كتاب فن الحرب في قائمة المواد الدراسية للكليات العسكرية في العالم بأسره .."

وقد أشار رئيس الصين السابق - ماوتسي تونغ - أن كتاب فن الحرب قد ساعده كثيرا في حربه ضد اليابان..

أما في حرب الخليج ، فقد تم تزويد كل جندي أمريكي بكتاب فن الحرب ، مع شريط كاسيت يشرح هذا الكتاب !!

أول خروج لكتاب فن الحرب من مَنشأهِ في الصين كان إلى اليابان، حيث عكف كبار ثلاثي الساموراي على دراسته وتطبيقه لتوحيد اليابان تحت راية واحدة، ثم في عام ١٧٧٢ تمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية، وبعدها بقليل تمت ترجمته إلى الإنجليزية والألمانية، وذاع صيته في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى، التي أكد الكثيرون من الخبراء العسكريين أن الكثير من المذابح التي شابت الحرب العالمية الأولى كان يمكن تجنبها لو توفر مثل هذا الكتاب وقتها للقادة العسكريين والمخططين ومتخذي القرار.

النص الإنجليزي المعتمد عليه للترجمة هو للانجليزي د/ليونيل جيلز الذي

ترجمه عن الصينية أثناء عمله في الصين لصالح المتحف البريطاني ونشره في عام ١٩١٠ م. ورغم قِدم هذه الترجمة إلا أن جميع الترجمات الحديثة اعتمدت هذه الترجمة كأساس تنطلق منه، لعل ذلك سببه خبرة ليونيل باللغة الصينية، وإلمامه ببعض فروع المعرفة العسكرية.

ومبادئ سون مفيدة جداً في عالم التجارة والتعامل الإداري، وفي تفاوضنا اليومي مع الآخرين.

منها:

- لاتكرر التكتيك الذي فزت به سابقاً، ابتكر غيره أو عدله بطريقة غير متوقعة.
- بناء على مدى توافق الظروف، على المرء أن يعدل خططه.
- لا تفتح على نفسك عدة جبهات في وقت واحد. تحالف مع أحد الأعداء حتى تنتهي من الآخر.
- الاحتفاظ بجاسوس في الداخل يعادل جيشاً بأكمله!
- وأفضل الجواسيس من يحمل جنسية العدو ولكنه يؤمن بأهدافك!
- القتال والانتصار في جميع المعارك ليس هو قمة المهارة، التفوق الأعظم هو كسر مقاومة العدو دون أي قتال.
- قد تعرف السبيل إلى قهر عدوك، دون أن تكون قادراً بالضرورة على عمل ذلك.
- اتخاذك الوضع الدفاعي يشير إلى قوة غير كافية، بينما الهجوم يستلزم توفر القوة الزائدة.
- المقاتل الباسل سيكون رهيباً في هجومه، متأنياً عند اتخاذه لقراراته.
- قارن بحرص جيش العدو بجيشك، لتقف على نقاط القوة المفرطة، وتلك الناقصة.

- إذا كنا -في خضم مشاكلنا- مستعدين لانتهاز أي فرصة قد تتاح لنا، فيمكننا أن نُخرج أنفسنا من مأزقنا.
- اغزُ البلاد الخصيبة من أجل إمداد جيشك بالطعام.
- عمل القائد هو أن يبقى هادئاً فيضمن السرية، وأن يكون مستقيماً وعادلاً، فيضمن استقرار النظام العام.
- الحاكم المستنير يضع خططه مقدماً، والقائد الناجح يرعى مصادره وجنوده (عن طريق الثواب والعقاب والمكافآت).
- ●هذه الوسائل العسكرية تؤدي إلى النصر، فلا تفشيها قبل أوانها.

ولد سون أتزو وكلمة " أتزو " تعني المعلم أو الرجل الذي بلغ المراتب العليا في العلم والفلسفة عام ٥٥١ قبل الميلاد في "لو آن" الواقعة في مملكة تشي، وينحدر "سون" من عائلة عسكرية عريقة، فأبوه وجده ووالد جده كذلك كانوا يعتبرون من أهم القادة العسكريين ورواداً في خوض وقيادة المعارك. هذه الظروف كانت سببا في تلقي "سون" لأفضل العلوم العسكرية والتي أهلته لأن يصبح أفضل اختصاصي صيني في المعارك الحربية والاستراتيجيات ..

عاش حتى عام ٤٩٦ قبل الميلاد، وذاع صيته بسبب عبقريته العسكرية التي اشتهر بها.

عاصر تزو نهايات عصر "الربيع والخريف" الذي شهد تحول المجتمع الصيني من مجتمع العبيد إلى المجتمع الإقطاعي، حيث كثرت الحروب بين أكثر من ١٣٠ مملكة صغيرة، ما أدى في النهاية لظهور خمس ممالك قوية تنازعت فيما بينها على السلطة والحكم.هذه الحروب الطويلة لم تكن بمعزل عن تزو، إذ زادت من خبرته العسكرية وعمدت إلى صقل مواهبه وزادت من حكمته.

هاجر أتزو بعد حصول هذه الإضرابات من بلده إلى - قوسو - مملكة " وو " في شرق الصين (إلى الغرب من مدينة شنغهاي اليوم)، وهناك اعتزل العالم وتفرغ لدراسة العلوم العسكرية وتلخيص المعارك الحربية ، حيث عمد إلى وضع

الكتابة الأولى لمؤلفه: فن الحرب، وبلغت شهرة كتاباته حاكم مملكة " وو " ، ففي تلك الفترة أراد الملك الهجوم على مملكة تشي لاحتلالها والسيطرة عليها فاقترح عليه أحد وزرائه الاستفادة من "سون" وخبراته العسكرية ، فكتب "سون" للملك ثلاث عشرة مقالة حول فن الحرب والاستراتيجيات العسكرية حيث قدمها للملك الذي وبعد أن قرأها أولاها قدراً وتقديرا عاليين، جعله يعين سون أتزو قائدا عامّاً لجيش مملكة تشي، الذي عمد بعدها إلى تدريب الجنود وصقل مهاراتهم وتوسيع أطراف المملكة، وساعد على تحقيق الانتصار تلو الآخر وتوسعة تخوم المملكة، وقد كانت هذه المقالات هي أحد الأسباب الرئيسية في انتصار مملكة وو على مملكة تشي ... هذه المقالات ، هي ما تُعرف اليوم بكتاب فن الحرب.. الكتاب الذي لا يزال صالحا للتطبيق .

ويتضمن كتاب "فن الحرب" نصائح وتوجيهات للملوك والقادة العسكريين، في مجال الإستراتيجية العسكرية، والتكتيك الحربي. ويناقش أنواعاً مختلفة من المناورات الحربية، ومدى تأثير ميدان المعركة، وطبيعته، في نتائج المعركة نفسها. وفي الكتاب كذلك تأكيد لمدى أهمية الحصول على معلومات دقيقة وصحيحة عن قوات العدو، وأوضاعها وكيفية انتشارها، وتحركاتها. وتلخص ذلك واحدة من المقولات الشهيرة الكثيرة التي يزخر بها الكتاب، وهي "إذا عرفت العدو، وعرفت نفسك، فإن باستطاعتك أن تخوض مائة معركة، وأنت في مأمن من خطر الهزيمة".

ويؤكد الكتاب من جهة أخرى استحالة التكهن مسبقاً بمصير المعركة، وتوقع ما قد يتخللها من أحداث، أو ما قد يظهر فيها من مفاجآت، وهذا يدعو القائد بالضرورة إلى اعتماد إستراتيجيات وخطط حربية مرنة.

ثم إن في الكتاب بعد ذلك تأكيداً لعمق العلاقة بين الاعتبارات السياسية والسياسة العسكرية، وقد لقيت هذه الفكرة قبولاً واسعاً، وكان لها تأثير كبير في فكر عدد من خبراء الإستراتيجية الغربية المحدَثين، وكذلك في فكر عدد من القادة الشيوعيين الصينيين، ومنهم ماوتسي تونغ .

فن الحرب مجموعة من المبادئ العسكرية الصينية كتبت قبل ٢٣٠٠عام. وقد وضعها الفيلسوف الصيني صن تزو لضمان النصر العسكري بأقل التكاليف وأسرع الطرق. ولا يتجاوز كل مبدأ سطراً أو سطرين مرتبة في فصول تبدأ بـ(تهيئة الخطة) وتنتهي بـ(تجنيد الجواسيس)..

والغريب ان صن ذاته كان من المعارضين للحرب - كوسيلة لحل النزاع - إلا انه كان واقعيا حين افترض حتميتها واستحالة منعها. لهذا السبب قرر كتابة مجموعة من المبادئ لضمان النصر بأقل عدد من الخسائر البشرية (بل وبدون الذهاب لأرض المعركة).

والكتاب يُعَدُّ حتى اليوم أساس الاستراتيجية العسكرية في الصين. وفي عام ١٩٧٢اكتشف علماء الآثار خمسة فصول مجهولة أضيفت للنسخة الموجودة!!

ومبادئ صن مفيدة حتى في عالم التجارة والتعامل الإداري - بل وفي تفاوضنا اليومي مع الآخرين-.

ورغم أن التكنولوجيا العسكرية تجاوزت - أو حَدَّت - من بعض المبادئ إلا أن معظمها ما يزال أساسيا حتى اليوم... وإليكم)عينة عشوائية):

- حرب لا تستطيع كسبها حاول تجنبها والجأ للمفاوضات قدر الإمكان.
- الحرب لا تكسب بالقوة بل بالخداع وعدم الاستعجال.
- هاجم عدوك حين تعرض عليه السلم. وتحاشاه حين يتوقع منك الهجوم.
- لا تكرر التكتيك الذي فزت به سابقاً، ابتكر غيره او عدله بطريقة غير متوقعة.
- حين يكون العدو في متناول اليد ومع ذلك يبقى هادئا فهو يعد لك مكيدة.
- الحرب المثالية هي الحرب السريعة؛ فالحرب الطويلة استنزاف للمنتصر كما هي للخاسر.
- حين تواجه عدوا قويا لا تتحرك حتى تجد فرصة سانحة ولا تحارب حتى يخرج عن طوره ويهاجم!

- كن مستعدا لتصيد أخطاء العدو؛ فقد لا يأتي النصر بدونها.
- احتفظ بقواتك وقدراتك سرّاً.. فكلما كنت غامضا خافك العدو وضخّم قدراتك!
- ستعرض نفسك لهزيمة محتملة إن لم تحدد (أنت) مكان ووقت المعركة.
- لا تحارب في الظروف الجوية المتطرفة التي يألفها العدو ولا تألفها قواتك!
- الأرض جزء من الجيش وهي التي ترفع أو تخفض من قوته!
- وحين تختار الأرض ابحث عن المكان الأعلى والأكثر صلابة.
- وحين لا تجد؛ ابحث عن الأرض المنبسطة واحمِ ظهرك بخنادق!
- استولِ قبل عدوك على الممرات الضيقة والنقاط المهمة وحين تصل إليها افترض احتلاله لها.
- بادر بقتال العدو حين يعبر النهر.. ولا تجتز أنت وهو على الطرف الآخر.
- كلما طالت خطوط تموينك ازداد ضعفك واحتمال التفاف العدو حولك.
- لا تفتح على نفسك عدة جبهات في وقت واحد.. تحالف مع أحد الأعداء حتى تنتهي من الآخر!
- حين تحاصر العدو اترك له فجوة للهرب.. فالضغط بقسوة يجعله يستأسد في القتال.
- الاحتفاظ بجاسوس في الداخل يعادل جيشاً بأكمله!!
- وأفضل الجواسيس من يحمل جنسية العدو ولكنه يؤمن بأهدافك!!
- وأخيرا.. ضمان النصر النهائي قد يتطلب التضحية بأفضل الجواسيس!!!

(٢)

"صـــــــــون أتــزو"..
فن الحرب على الطريقة الصينيـة





"فن الحرب" واحد من الكلاسيكيات الصينية السياسية وهو نتاج زمن من الاضطراب الكبير في التاريخ الصيني، ويعد أفضل ما في هذا التراث في موضوعه أي تحليل طبيعة الحرب، وتقديم تصور عن كيفية ضمان النصر، وعلى العكس من كتب الأبراج العاجية والتأملات النظرية في الاستراتيجيات يعتبر هذا الكتاب جاداً ورداً عملياً واستجابة للظروف التي سادت في وقت كتابته، وكان له تأثير هائل في الصين، وخارج الصين أيضا.

الفكر الصيني مثلما - هو دائما وكما يظهر في هذا الكتاب - ذو جذور عميقة في الواقع بأوسع معاني هذه الكلمة، ومثلما هو معروف عن أعمال الفكر الصيني الكبرى يتصف هذا الكتاب باستجابته الشمولية للمأزق الإنساني. وحتى في قلب وصايا مؤلفه "سون أتزو" العسكرية فإن الروحية الصينية بشكلها "الطاوي" ليست بعيدة أبداً عن محتوى الكتاب، فهذه الفلسفة ذاتها التي هدفها إحداث تحول شخصي في مواجهة الواقع المطلق يمكن وتستطيع توفير معرفة بكل جانب من جوانب الحياة بدءا من طقوس الرهبنة وحتى الفنون العسكرية، وعدم الوعي بهذا معناه فقدان مستويات المعنى الأعمق لمثل هذا المؤلفات.

ومثلما هو الحال مع أعمال الفكر الصيني الكبرى فإن تاريخ تأليف كتاب "فن الحرب" ليس مؤكداً. هنالك سيرة شخصية للمؤلف "سون أتزو" في أكثر كتب التاريخ الصيني أهمية، كتاب "السجلات التاريخية" لمؤلفه "سيما كيان" من القرن الأول قبل الميلاد حيث وصف "سون" كأحد مواطني "كي" الذي عمل في خدمة ملك "ويو" وأثار إعجابه بمهاراته العسكرية.

فإذا صح هذا فمعناه أن "سون عاش حوالى ٥٠٠ عام ق.م" مع نهاية الفترة التاريخية المعروفة باسم مرحلة الربيع والخريف في التاريخ الصيني، ولكن هناك سبب معقول للاعتقاد بأن هذا التاريخ ليس دقيقا فقد ظل موضع خلاف في الصين منذ القرن الحادي عشر على الأقل وأسباب هذا الشك تعود جزئياً إلى غياب إشارات إلى شخصية "سون" في أعمال هذه المرحلة الكبرى، وإلى أن الشواهد المتعلقة بالحروب الواردة في الكتاب لا تعكس ظروف الأزمنة القديمة.

إن أي شخص كتب هذا الكتاب يفترض وجود جيوش كبيرة وضباط محترفين وهي أمور لم تكن متوافرة في مرحلة الربيع والخريف، ففي ذلك الزمن كان حجم الحرب صغيراً وبدائيّاً وفوضويا وشكلا مختصرا لمغامرات فردية ينغمس فيها الحكام لا هذه المهنة الجادة المحترفة التي يصورها هذا النص.

ومن المعتقد الآن أن هذا النص تم تأليفه على الأرجح خلال مرحلة الدول المتحاربة في التاريخ الصيني الممتد ما بين ٤٠٣ و ٢٢٨ ق.م وهو يحمل بصمة فكر فرد متميز. ومهما كان من شأن هذا الفرد فمن الواضح أنه امتلك تجربة حربية مباشرة.

إن تسمية مرحلة الدول المتحاربة تسمية دقيقة فخلال قرنين وربع القرن من استمرارها لم تظهر الصين كدولة موحدة، فمع نهاية مرحلة الربيع والخريف، التي تميزت هي ذاتها بحروب متواترة تكون مما تصبح الصين أخيراً من سبع دول قوية وخمس عشرة دولة أقل قوة، وكما توحي تسمية مرحلة الدول المتحاربة، فقد كانت هذه إحدى المراحل التي تنافست فيها أكثر الدول قوة على الهيمنة مبتلعة جيرانها الأصغر كلما كان الأمر ضروريا، وبناء على هذا فإن تاريخ المرحلة هو تاريخ حروب متواصلة أحلاف وأحلاف مضادة ومعاهدات تعقد ومعاهدات تنتهك ولذا ليس من المفاجئ أن تتغير طبيعة الحرب مع انتهاء المرحلة. كما أصبح واضحاً أن الاستقرار السياسي لا يمكن تحقيقه بسهولة، فقد توقفت الحرب عن كونها مجرد مغامرات وأصبحت قضية جادة.

وتنامى حجم الجيوش وأصبحت الحملات أطول زمناً وأصبح الحفاظ على اقتصاد الدولة لدعم النزاع المسلح موضع اهتمام ومن هنا لا عجب أن ظهرت فئة من الضباط المحترفين الذين كرسوا حياتهم لإدارة حرب ناجحة لقد أصبحت الحرب كما تقول الملحوظة في افتتاحية الكتاب من دون مبالغة، أكثر مهمات الدولة جدية ومفتاح البقاء أو الخراب وكان شرطاً للبقاء أن تمتلك الدولة جيشا فعالاً ذا قيادة ممتازة، ومن المحتمل أن مؤلف الكتاب جاء من طبقة المقاتلين المحترفين هذه. إنه يلخص في هذا الكتاب ثمرة تجربة ويقص علينا في ثلاثة عشر فصلا قصيرا كيف نكسب الحرب.

مفتاح النجاح الأول هو خداع العدو: "كل حرب تقوم على أساس الخداع ولهذا حين تكون قادراً على الهجوم تظاهر بعدم القدرة، وحين تقوم بتحريك القوات تظاهر بأنك لا تقوم بأي فعل" ويحتل منع العدو من سبر اختبار مقاصد المرء المرتبة الأولى في الأهمية وبخداع العدو فإنه لن يعرف متى يُهاجم أو يدافع وما إذا كان عليه أن يهاجم أو يدافع، وهكذا فإنه سيستعد على كل الجبهات وستكون قوات هكذا عدو منتشرة وضعيفة لذلك في كل مكان وستندحر بالتأكيد.

وإذا كان من الجوهري أن يحافظ المرء على تحركاته سرا فمن الحيوي على نحو مشابه معرفة أكثر ما يمكن عن خطط عدوه.

المخابرات الجيدة هي الأمر الجوهري الثاني في الحرب، ويقف هذا وراء قول "تزو" إن شبكة تجسس موسعة ليست موضع خيار، بل هي ضرورة أساسية. إن كسب الحرب هو نتيجة "معرفة مسبقة" أي مخابراتية وهذه المعرفة لا يمكن أن تأتي عن طريق استشارة الأبراج والأرواح، ولا بالبناء وفق أحداث الماضي بل يجب الحصول عليها من الناس الذين يعرفون أوضاع العدو، ويعتمد الجيش على المعلومات التي يجمعها الجواسيس من أجل كل حركة من تحركاته، وليس هناك من مكان، كما يقول " أتزو" يمكن أن يستثني من التجسس. وشبكة واسعة من الجواسيس الذين يتلقون أجوراً ممتازة هي استثمار ذو قيمة كبيرة ضروري وثمين بالنسبة للدولة، ويؤكد "سون أتزو" في أكثر من مكان ومناسبة على أن المعرفة أو الاستخبارات ذات أهمية حيوية في الحرب: "اعرف العدو واعرف نفسك ولن تهزم في مئة معركة".

والقائد هو الشخص المسؤول عن الاستراتيجية ومن هنا عن خداع العدو وتقديم المعلومات الاستخبارية التي يجمعها الجواسيس.

والواضح من وصف أتزو للقائد المثالي أن هذا الضابط يجب أن يمتلك خبرة واسعة ومعرفة ومهارات أخرى من أرفع المستويات في العلوم والفنون.

وفي المقام الأول يجب أن يكون جندياً ممتازا وذا تجربة في الحملات العسكرية ومعرفة ممتازة بمبادئ الهجوم والدفاع الموصوفة في الكتاب، عليه أن

يعرف أفضل طرق الاستفادة من الأرض وكيف يناور وأفضل طرق الجمع بين قواته النظامية والخاصة.. الخ. وثانيا هذا القائد المثالي موصوف بلغة لا يمكن أن نجدها في أي نص غربي.

فعلى سبيل المثال يجب أن يكون "هادئا وغامضا " قادرا على وضع "خطط لا يمكن سبر أغوارها" وهذه تعابير تستخدم غالباً لوصف الشخص الذي بلغ هدف "الطاوية" الروحي أي الاستنارة" والواضح من ملحوظات أخرى في النص أن قائد "تزو" المثالي يمتلك بعضاً من هذه الأحوال: "الخبير يمر بلطف ورهافة لا تترك أثرا ولا صوتا وبهذا يتسيد على مصير العدو" هذه الملحوظات الغامضة تبدو محيرة للوهلة الأولى ولكنها ليست كذلك إذ أخذت في سياق نظرية وممارسة "الطاوي".. فالحكيم الطاوي هو المرء المتناغم كليا مع الواقع الكامن وراء عالم الحياة اليومية، المألوف في خبرتنا اليومية.

مثل هذا المرء يختلف عن كونه ذا مقاصد أو أغراض أنانية بأي معنى من المعاني المماثلة، لما يملكه شخص غير مستنير. إنه متناغم تناغما تامّاً وتلقائيا مع تيار الواقع ذاته.

والحكم بعدم امتلاكه لأي قصد لا يحتاج الى استخدام العقل من أجل أن يخطط لكيفية تحقيق مقاصده، ومثل هذا المرء سيكون بالتأكيد مما لا يسبر غوره والكشف عنه بالنسبة لنا نحن غير المستنيرين.

إن حضور هذا البعد الروحي هو أحد الطرق التي يختلف فيها كتاب "فن الحرب" اختلافاً ملحوظا عن الكتاب الغربي الموروث الذي يقارن به دائما كتاب "فن الحرب" "١٨٣٣" لكلاوسفتز. فعلى رغم أن هذا الأخير يمكن مقارنته بكتاب "سون" في عدة جوانب إلا أنه يفتقر إلى هذا البعد الروحي افتقارا تامّاً وسبب هذا الاختلاف هو غياب ما يناظر الفلسفة الطاوية في الثقافة الغربية.

القائد الماهر يستجيب تلقائيا وبشكل مناسب مهما كان من شأن ما تجيء به الظروف والأحوال، وهذه خاصية إضافية لابد أن يمتلكها القائد ومثلما يشير "سون تزو" وكما يشير كلاوسفتز فإن الظروف لا تكرر نفسها، ولهذا فإنه لا يمكن

وضع القواعد الاستراتيجية بتفاصيل يحتاجها كل موقف مقدماً أبداً ومن هنا حين يتحقق النصر، فإن تكتيكات المرء لا تتكرر وعلى المرء أن يستجيب دائما للظروف بطرق لا نهاية لتنوعها.

إن أي شخص يتصرف ويفكر وفقا للطاوي في تناغم مع الواقع المطلق يستفيد من طاقة واتجاه نظام الأشياء الكلي ولا يمكن إيقافه، وهكذا فإن "القائد الماهر يسعى إلى الحصول على النصر من الوضعية ولا يطلبه من أتباعه". الوضعية هي التي تجلي اتجاه نظام الأشياء الذي يستجيب له الطاوي الماهر بتسيد كامل وتلقائية مطلقة، ومثل هذا الشخص لا يحتاج الى الاعتماد على خطط وأفعال الأتباع.

إذن بكلمة مختصرة يجب أن يمتلك القائد المثالي خصائص مهارة الطاوي ولا يستجيب استجابة ملائمة للأوضاع التي لا يمكن التنبؤ بها والمتغيرة تغيراً لا متناهيا التي تحدث في الحرب إلا مثل هذا الشخص. ولأن كل حرب مختلفة، فإنه لا يمكن صياغة قواعد استراتيجية محددة أو تكتيكات تقوم على أساس إحداها يمكن أن تأتي دائما بالنصر، ولا يجلب النصر الا القواعد المرنة والمتكيفة والمبتكرة.

يضاف إلى هذا فإن النجاح في الحرب لا يعتمد على العمل العسكري وحده. وإحدى أكثر السمات بروزاً في "فن الحرب" هو وعي "سون أتزو" الواضح بالسياق سياق الحرب النفسي والمادي على حد سواء، والذهاب إلى الحرب من دون أموال كافية هو وصفة للإخفاق ودمار للدولة في المطاف النهائي، فالحرب تسبب التضخم والتضخم يستنفد قوى البلد الذي يشن الحرب وتتضمن تكاليف الحرب الاقتصادية، أحد اسباب تشديد "سون تزو" المكرر على الحاجة إلى نصر سريع: إن النصر السريع هو غاية الحرب الرئيسية.. فليست هناك حرب متطاولة تفيد بلداً.

والسبب الثاني، لمطلب السرعة هو الحاجة الى الحفاظ على المعنويات في الجيش والدولة على حد سواء وهي نقطة أعاد كلاوسفتز التأكيد عليها دائما،

فالجنود المتعبون يتوقون إلى بيوتهم ولا يقاتلون بالحماس نفسه الذي تقاتل به قوات جديدة، وسيكون المنخرطون في حملة طويلة واعين بالمصاعب التي تعانيها عائلاتهم بسبب اقتصاد الحرب.

فإذا تمت تلبية كل هذه الشروط (إذا كان الرجل المناسب قائداً وقادراً على خداع العدو وإخفاء مقاصده عنه ومزوداً بالمعلومات الاستخبارية من شبكة تجسس واسعة) فإن الهدف النهائي للحرب سيتحقق، وفي ما يتعلق بطبيعة هذا الهدف النهائي. نأتي الى أحد أكثر التعارضات أهمية بين "سون أتزو" و"كلاوسفتز". الحرب بالنسبة لهذا الأخير هي فعل من أفعال ممارسة القوة هدفه إجبار العدو على الانصياع لإرادتنا واستخدام القوة نظريا رغم انه لا يمكن تطبيقه بسبب المعوقات السياسية لا حدود له.

وبالنسبة للصيني "سون أتزو" فإن التدمير يجب تجنبه بقدر الإمكان لأن هدف الحرب ليس تدميراً شاملاً للعدو بشكل عام. أفضل سياسة في الحرب هو أخذ دولة من الدول متماسكة، وتدميرها ليس سياسة فضلى، والإمساك بجيش العدو كله أفضل من تدميره.

ويكمن وراء هذا هدف أبعد ومثال غائب كليا عن كتاب الحرب الغربي، وأكثر ملحوظات "سون" التي يستشهد بها كثيراً تقول: "إن إخضاع العدو من دون قتال هو أرفع امتياز" والعمل العسكري هو أقل الطرق جودة لإخضاع العدو، وتعلوها في المرتبة استراتيجية إفساد تحالف العدو وأفضل من كل هذا استخدام الاستراتيجية لهزيمة استراتيجية العدو، إن الأعظم بين القادة ليس المنتصر في مئة معركة بل ذلك الذي لا يحتاج إطلاقا الى القتال لينتصر وليس هناك من يستطيع تحقيق هذا المثال سوى الطاوي الماهر، ذلك المثال الذي يفرض وجود مستوى من البصيرة النافذة لا يملكها الناس العاديون، وسيكون من الحماقة القول إن تاريخ الحرب في الصين يظهر أن هذا المثال تم تجسيده، إنه مثل كل المثل محدد بما يمكن أن يتحقق إنسانيّاً.

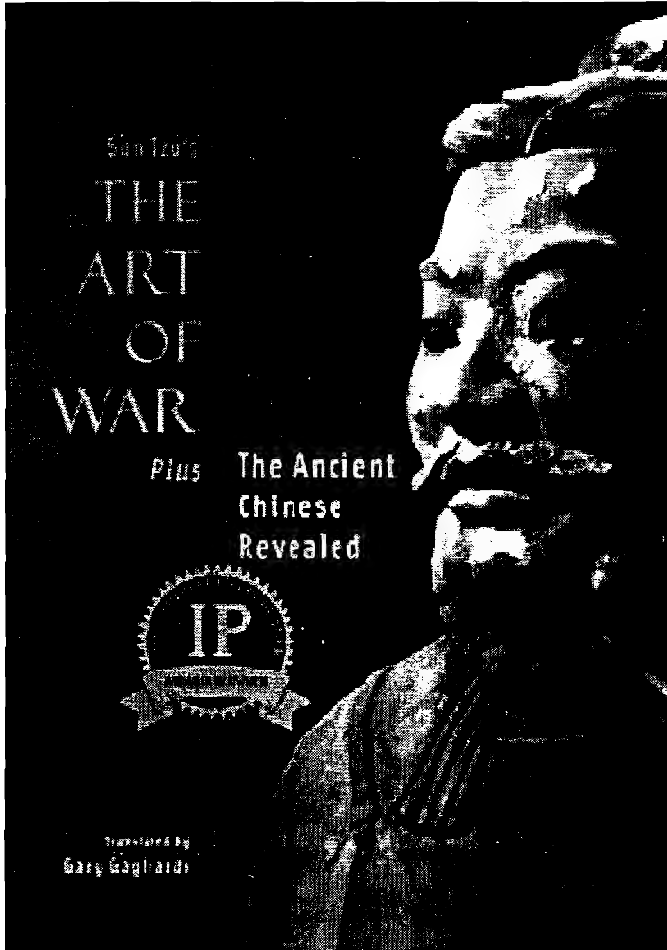
فما فيه من مصلحة هو إنه المثال المفترض و"سون أتزو" اقترح على الأقل بديلا لفظائع الحرب الفعلية المروعة.

هذه هي باختصار الأفكار الرئيسية لهذا النص القصير، ولكن البالغ التأثير، فقد ظل موضع إجلال في الصين طيلة قرون، وقد تجاوزت شهرته وتخطى تأثيره تحول الصين إلى دولة شيوعية، وقد تم تعليمه وتدريسه في اليابان لعدة قرون، ومنذ منتصف القرن الثامن تحديداً، وعرفه الغرب قبل زمن طويل من معرفته ببقية الكلاسيكيات الصينية وظهرت أول ترجمة فرنسية له العام ١٧٧٢ وتبعها ترجمة روسية في العام ١٨٦٠ وعرفته اللغات الإنجليزية والألمانية في القرن العشرين، ولم تتوقف طبعاته في الإنجليزية وهو أمر يدل على أنه لم يكن ليحدث لو لم يكن لدى "سون أتزو" شيء يقوله.

(٣)

سون أتزو..
رائد الجاسوسية !!





يعتبر سون أتزو رائد الجاسوسية الصينية، ولا يعني ذلك أن الصين لم تعرف الجاسوسية قبله فعمر الجاسوسية في الصين قديم جدا، لكن الفضل يرجع (لسون أتزو) في تكوين أول شبكة مخابرات كاملة في الصين.ألف كتابا عنوانه : (أصول الحرب)، وهو أقدم كتاب عرف عن فن الحرب عموماً، ولا يزال مطلوبا للقراءة في أكاديميات عسكرية كثيرة، استفاد منه (ماوتسى تونج) في زحفه الطويل، وطبقه اليابانيون قبل مهاجمة (بيرل هاربور) البحري الأمريكي وهو كتاب شامل مفيد حتى إن قيادة الطيران الملكي البريطاني وزعته بعد تبسيطه على ضباطها في (سيلان) أثناء الحرب العالمية الثانية .

كرس الكتاب جهداً كبيراً لإيضاح أهمية الجواسيس، وطالب بتقسيمهم إلى خمسة أقسام :

* جواسيس محليون : مواطنون محليون يتقاضون مكافآت على المعلومات .
* جاسوس داخلي : خائن في صفوف العدو .
* جاسوس محول : عميل أمكن إقناعه بتغيير أفكاره ومبادئه .
* جاسوس هالك : عميل اعتاد تزويد العدو بمعلومات زائفة، من المحتمل قتله فيما بعد .
* جاسوس باقٍ : مُدَرَّب، يعتمد عليه في العودة من مهمته بأمان .

ويعتقد (سن تزو) بأن شن حرب بطريقة اقتصادية، مع الدفاع عن البلاد ضد الآخرين، يتطلب ضرورة استخدام نظام تجسس دائم، يرصد أنشطة الأعداء والجيران على السواء، وأكد أهمية التقسيم المذكور، وضرورة اعتبار الجاسوسية عملاً شريفاً، وملاحظة استمرار تقريب العملاء من زعمائهم السياسيين والقادة العسكريين.

أوصى (سن تزو) في كتابه بحسن معاملة العملاء المحولين، ومنحهم المسكن المريح، والعطاء الجزيل بين الحين والآخر، لأن هذا أدعى إلى تثبيت ولائهم، بل وإغرائهم بمحاولة استمالة زملائهم ورؤسائهم السابقين، خاصة الذين يستجيبون منهم للرشوة بسهولة.

(٤)

سون أتزو.. وحزب الله
وسقوط أسطورة الجيوش الكبرى !!



مع سريان وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله بعد معارك طاحنة في عام ٢٠٠٦ واعتبار مراقبين أن شهرا من الحرب لم يكسر شوكة الجماعة اللبنانية يعطي كتاب المفكر الصيني سون أتزو قبل ٢٥٠٠ عام تفسيرا لكيفية انتصار مجموعات صغيرة على جيش نظامي ضخم في الحروب غير المتكافئة.

يرى سون أتزو في كتابه " فن الحرب" أن القوات قليلة العدد التي تتخذ موقف الدفاع يجب أن تكون مدفونة في الأرض حتى لا يراها العدو وأن اتخاذ مثل هذا الموقف في حالة عدم تكافؤ القوى لا يعني السلبية وإنما خلق الظروف المناسبة لاستنزاف الجيش المهاجم.. فالبراعة هي الجمع بين صد الهجمات وشن الهجوم المباغت.

وكان نابليون بونابرت لا يكف عن قراءة كتاب " فن الحرب " حتى في غمار المعارك".

كما أن الرئيس الأميركي تيودور روزفلت دائم الاطلاع على هذا الكتاب مرجحا أن عدد مرات قراءته له قارب المائة .

وكان المفكر المصري البارز أنور عبد الملك أشار الى أهمية قراءة هذا الكتاب الآن في مقال عنوانه (بداية التاريخ.. من السويس إلى قانا) بمناسبة تزامن مرور نصف قرن على تأميم قناة السويس مع قصف اسرائيل لقرية قانا اللبنانية في هجوم أسفر عن مقتل أكثر من ٦٠ مدنيا منهم ٣٧ طفلا.

كما أشار عبد الملك إلى قول اتزي الذي وصفه بأستاذ أساتذة الفكر الاستراتيجي العالمي أن الحصول على مائة نصر في مائة معركة ليس ذروة البراعة وإن استراتيجية الهجوم تتلخص في أن "إخضاع العدو دون قتال هو ذروة البراعة ".

ويعيد كتاب "فن الحرب" الاعتبار إلى أهمية حرب العصابات بالنسبة للجماعات الصغيرة التي تقاوم على أرضها جيشا نظاميا كبيرا .

وقاد حزب الله مقاومة ضد إسرائيل وأجبرها على إنهاء ٢٢ عاما من الاحتلال لجنوب لبنان في عام ٢٠٠٠.

وكرر حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله أكثر من مرة أن مقاتليه ينتهجون طريقة حرب العصابات في مواجهة هجوم الجيش الاسرائيلي على لبنان.

ويعتبر مراقبون أن مقاتلي حزب الله الذين لا يراهم أحد نفذوا استراتيجية التمويه والتخفي كما نصح بها الحكيم الصيني في القرن الخامس قبل الميلاد.

وسبق أن نجحت حرب العصابات في فيتنام في التصدي لأقوي الجيوش وهو الجيش الأمريكي حيث اضطرته للانسحاب بعد سنوات من إنهاكه واستنزافه منذ أرسلت الولايات المتحدة مئات الألوف من جنودها إلى فيتنام في مطلع الستينيات وجربت قواتها معظم الأسلحة باستثناء الأسلحة النووية لكنها فشلت في التصدي للثورة الشعبية وحرب العصابات حتى اندحر الغزو الأمريكي عام ١٩٧٢.

ويقول أتزو إن "الجيش الذي يتخذ موقف الدفاع يجب أن يكون أشبه بمن يدفن نفسه في قرار الأرض حتى لا يمكن العدو من التعرف على حركاته" في إشارة إلى أن اتخاذ مثل هذا الموقف في حالة عدم التكافؤ "لا يعني السلبية فالدفاع يتضمن عاملين إيجابيين إذا ما قورن بالهجوم". والعاملان هما استغلال الطبيعة الجغرافية واتباع أساليب الغموض والتخفي والخداع والتمويه لإرباك العدو مع "الانتباه إلى جعل الغرض الأساس من الدفاع هو خلق الظروف التي تمكنك من شن الهجوم.

إن الدفاع ليس تحركا عسكريا بمعنى أن تمد درعك لصد هجمات العدو فقط ولكنه يعني البراعة في الجمع بين صد هجمات العدو وشن الهجوم عليه".

ويعطي أمثلة للتمويه وغواية الآخر قائلا "عندما تريد غواية عدوك عليك أن تستغل دائما نفسيته التي تتمثل في سعيه الدائم للوصول إلى المصلحة فتقدم له صيدا ثمينا يغريه بابتلاع طعمك والدخول في الشباك التي نصبتها له وحينئذ

تنقض عليه وتفترسه... إذا كان يطمع في احتلال موقع استراتيجي تابع لك يمكنك أن توهمه بأن هناك فرصة يمكنه اقتناصها مما يؤدي به إلى أن يتصرف بطيش ويرتكب خطيئة لا تغتفر وهكذا تصبح أمامك فرصة تجعلك تودي به إلى الهلاك مهما كانت قوته.

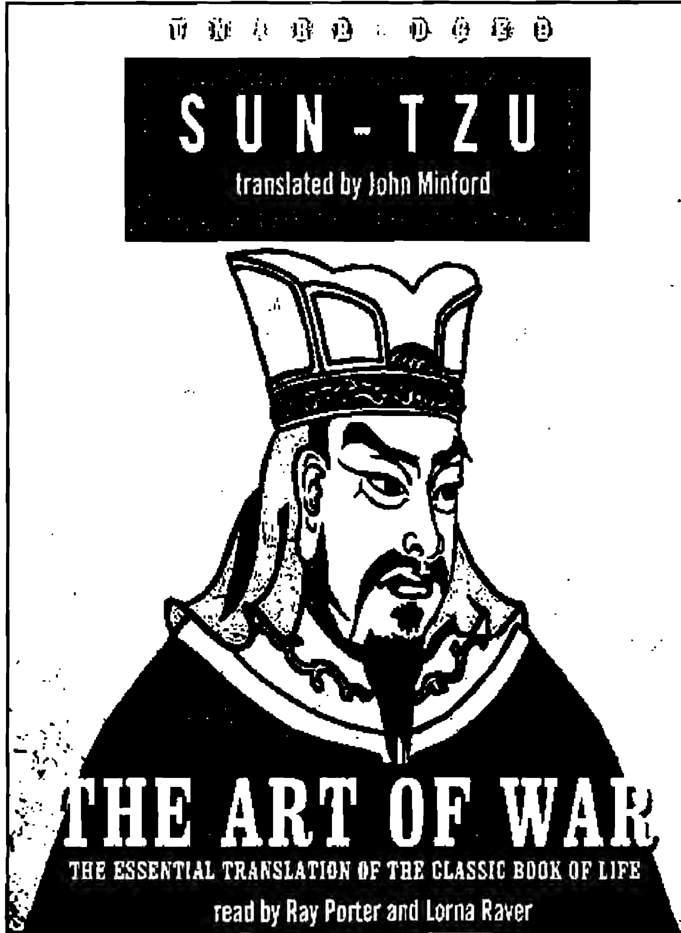
مجمل القول أنه يجب عليك أن تجبر العدو على أن يظهر لك قوته حتى تستطيع أن تستغلها لصالحك".

وينصح المؤلف بتجنب المواجهة المباشرة مع عدو يتمتع بقوة قتالية كبيرة.ويقول المؤلف إن الحرب الممكنة في مثل هذه الحالة هي "تحقيق ضربة قوية تفوز بها على العدو.. أما غير ذلك من الأمور عليك تجنبه وعليك أن تتذكر دائما أن الجيش الضعيف إذا أصر جنوده على القتال ضد جيش العدو القوي دون الالتفات إلى الحفاظ على قوتهم وحياتهم فمن السهل أن يتحولوا إلى أسرى في قبضة العدو."الانسحاب من أمام عدو متفوق في القوة ليس فقط حماية لقوتك من الخطر وإنما هو أيضا محاولة لغواية العدو بالتورط حتى يصنع لك فرصة تستغلها لمواجهته.

وفي بعض الأحيان يكون الانسحاب بغرض تحفيز العدو على تعقبنا حتى نتمكن من إخراجه من تحصيناته وتحين الفرصة للانقضاض عليه.

(٥)
كتاب فن الحرب.. موقعه من التاريخ





هذا الكتاب الذي لا يزال يعرف في الصين باسم " تسو " ، وهي سلسلة صيغ جماعية مكتوبة منذ ٢٣٠٠ عام في منطقة شمالي الصين وهو نص شكل الفكر الاستراتيجي لشرقي آسيا بكامله حيث قدم منظورا جديدا إلى حد بعيد فيما يتعلق بالصراع ، يمكن للمرء بمقتضاه إحراز النصر من دون المُضي إلى المعركة هذا النص يعرف في الغرب ب " فن الحرب " لكنه في الصين يسمي باسم مؤسس السلالة وهذا النص الشائق والممتع الذي ترجمه لأول مرة إلى العربية كامل يوسف حسين يوضح كيف ننتصر بلا عدوان ، سواء أكان صراعنا هائلاً أم محدوداً ، شخصيا أم قوميّاً وينص أحد أشهر مقاطعه على القول (مئة انتصار في مئة معركة ليست بالبراعة القصوى أما إخضاع الآخر بلا معركة فهو البراعة القصوى) .

إنها الحكمة العاملة والفعالة في طرق التعامل مع الصراع ، حيث يبدأ السن تسو بإدراك هذا الصراع وأنه لا يتجزأ من الحياة البشرية فهو بداخلنا ومن حولنا وفي بعض الأحيان يمكننا تجنبه ببراعة ولكن في بعض الأحيان الأخرى لابد لنا من الانغماس فيه بصورة مباشرة ، والكثير منا شاهدوا قوة العدوان المدمرة سواء على المستوى الشخصي أو في كوارث الصراع المسلح ، يوصي الصن تسو بأن يبدأ ردنا على الصراع من المعرفة بأنفسنا وبالآخر حيث يفيدنا في الفصل الثالث : وهكذا فإنه في صفوف العسكريين:

معرفة الآخر ومعرفة النفس

في مائة معركة مامن خطر

عدم معرفة الآخر ومعرفة النفس

انتصار لقاء هزيمة

عدم معرفة الآخر وعدم معرفة النفس هزيمة مؤكدة في كل معركة

ذاعت شهرته حيث إن هذه التعاليم تنسب إلى كونفوشيوس العظيم فالكتاب يقول دائما: قال المعلم وأخبر المعلم ، كما يتضمن تعاليم تاوية مميزة جلبت شهرة كبيرة لهذا النص الذي كتب على ألواح الخيزران أول ماكتب ثم تناقلته السلالات الصينية وذاع في العالم .

بالتأكيد اطلع على هذا الكتاب الكثيرون من قادة العالم والتاريخ فهو قيمة غالية وكنز ثمين، وهذا الكتاب درَّسته الاستخبارات الأمريكية لجميع أفرادها بل واستخدمت مصطلحاته ذاتها فعندما ظهر اصطلاح " القوة الصلبة " و " القوة اللينة " في الدرامات الإستراتيجية الأمريكية تساءل الكثيرون عن مصدرهما بكثير من الحيرة لكن المعنيين بالدرامات الشرقية اكتفوا بالابتسام في صمت ، يقول الصن تسو .

اتخذ من الشجاعة سربالا

هذا هو تاو الحكيم

احصل على الصلب واللين

هذا هو نمط الأرض

والكتاب في تقسيمه الجديد ينقسم إلى تطبيقات فن الحرب ثم الجزء الثاني بثلاثة مقالات وهي أخذ الأشياء كاملة كطبيعة الأشياء والعلاقات والشبه وهي قوة الحاكم وسيطرته على الآخرين وقدرته على التأثير فيهم من بعيد، وبحلول عصر الصن تسو كان الناس قد بدءوا يدركون أن هذه القدرة ليست كامنة في شخص الحاكم وإنما في منصبه وكما يشير نص قديم.

الحيَّة المتوثبة تنطلق في الغمام

التنين المحلّق ينطلق على متن السحب

ولكن عندما تمضي السحب وينزاح الغمام

فإنهما يختلفان عن ديوان الأرض

ثم يقابلك فصل ممتع عن القائد الحكيم إذ يترك له منهاج الداخل وهو ضبط النفس والتعقل ومعرفة الجوهر أما على مسرح المعركة فذلك يورد له جملة من التوصيات.

إذا لم ينتصر القائد على غضبه

وأطلق العنان لجنوده فاندفعوا كالنمالَى

فإن ثلث ضباطه وجنوده يُقتلون

والمدينة ذات الأسوار تظل مستعصية

هذه هي كارثة الهجوم

الكتاب من أمتع ما قرأت فهو إضافة إلى الحكمة التي ينشرها بين دفتيه فكذلك تشترك سلاسة الأسلوب ورشاقة التعبير في شاعرية آسرة ومنهاج لحياة الأشخاص ، فالعبارة تحتوي الكثير من المعنى، وللجميع أن يستخدمها يقول سون أتزو:

لا تهاجم القوات اللماحة

لا تبتلع طعم الجندي

لا تضغط على الغزاة المجهدين

أفسح طريقاً للجنود المحاصرين

ولا تطاردهم حينما يصطنعون التراجع

ولا تواجههم عندما يكونون على تل عالٍ

ولا تقصد لهم عندما يستندون إلى رابية

استخدم القريب لانتظار البعيد

استخدم الراحة لانتظار الجهد

استخدم الشبع لانتظار الجوع

هذا هو مايعرف بتوجيه الأمر إلى القوى

لا تشتبك مع القوات حسنة التنظيم

لا تضرب التشكيلات المهيبة

هذا هو مايعرف بتوجيه الأمر إلى التحول .

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة عشر بنداً موزعة على الشكل التالي: الخطط، العمليات الحربية، الاستراتيجية الهجومية، الترتيبات، القوة، نقاط ضعيفة ونقاط قوية، الصراع المسلح، المتغيرات التسع، السير، في معالم الأرض، أنواع الأرض التسعة، الهجوم بالنار، استخدام العملاء السريين.

وكتب سون أتزو رائعته "فن الحرب" في العقد الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، وقد قدم نسخة من كتابه إلى الملك حلو سنة ٥١٢ ق.م. هل نجح سون أتزو في تطبيق تعاليمه؟ .. الجواب : نعم ، وخير دليل على ذلك ما قام به الملك حلو الذي تمكن مستعيناً بآراء سون أتزو من إخضاع جيرانه وتوسيع حدود مملكته بالإضافة إلى أن تعاليم سون أتزو قد ساعدت بطريقة مباشرة إلى جانب التعاليم الأخرى من كنفوشيوسية وتاوية المسالمة إلى تمكين إمارة كيم من توحيد الإمبراطورية الصينية في العام٢٢١ ق.م.

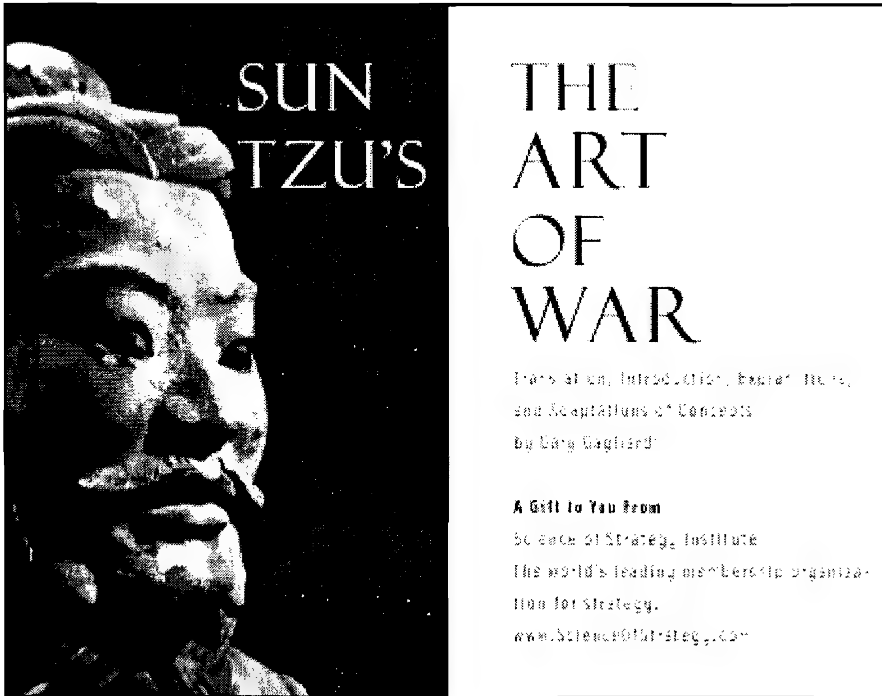
فن الحرب مجموعة من المبادئ العسكرية الصينية كتبت قبل ٢٣٠٠عام. وقد وضعها الفيلسوف الصيني سون أتزو لضمان النصر العسكري بأقل التكاليف وأسرع الطرق. ولا يتجاوز كل مبدأ سطراً أو سطرين مرتبة في فصول تبدأ بـ(تهيئة الخطة) وتنتهي بـ(تجنيد الجواسيس)..

والغريب أن سون ذاته كان من المعارضين للحرب - كوسيلة لحل النزاع - إلا انه كان واقعيا حين افترض حتميتها واستحالة منعها. لهذا السبب قرر كتابة مجموعة من المبادئ لضمان النصر بأقل عدد من الخسائر البشرية (بل وبدون الذهاب لأرض المعركة).

والكتاب يعد حتى اليوم أساس الاستراتيجية العسكرية في الصين. وكما قلنا ففي عام ١٩٧٢اكتشف علماء الآثار خمسة فصول مجهولة أضيفت للنسخة الموجودة!!

(٦)
دروس مـــــــســـــــتـــــفـــــادة
مــن ســــــــــون أتــــزو





لا تخلو مكتبة من المكتبات الكبرى من نسخة كتاب (فن الحرب) الذي كتبه المفكر والفيلسوف العسكري الصيني (سون أتزو)، ويُعدّ هذا الكتاب من أهم ما كُتب عن الاستراتيجية العسكرية. ولا يُعرف الكثير عن حياة (سون أتزو)، أو الفترة الزمنية التي عاش فيها، ولكن بعض المصادر التاريخية تشير إلى أنه من معاصري الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس ٥٥١ - ٤٧٩ ق.م)، وإلى أنه قد وُلد في ما يُعرف حالياً بولاية (شاندنج) الصينية، في حين يعتقد المترجم (صاموئيل غريفث) إلى أن (سون أتزو) ربما يكون قد عاش في الفترة ما بين (٤٥٣ ٢٢١ ق.م)، لأن تفاصيل الكتاب تناسب الحقبة الزمنية التي شهدت الحرب بين الدول، وأدّت إلى توحيد الصين لأول مرة تحت (إمبراطورية جن) التي لم تدم طويلاً.

ومن الواضح أن (سون أتزو) كان أحد القادة العسكريين في إحدى تلك الدول المتحاربة، وقد عكف على تسجيل تجاربه الاستراتيجية والتكتيكية للأجيال اللاحقة، وقد تركت كتاباته بصماتها على الكتابات العسكرية الصينية المعاصرة.

وحتى الوقت الراهن يستعين العسكريون بما كتبه (صن تزو). ومن الجلي أنهم مقتنعون بأن حِكَمه وتجاربه التي سجّلها في كتابه لها أهميتها البالغة في الاستراتيجيات العسكرية المعاصرة؛ ففي أثناء حرب (فيتنام) كان ضباط الجيش الأمريكي يحرصون على حمل نسخ من كتب (سونن أتزو)، و)ماوتسي تونغ)، ولكن قليل ممن يحملونها قد قرأوها وأقل منهم من فهمها الفهم الصحيح.

وقد طبَّق (ماوتسي تونغ) أفكار "سون أتزو" على كتاباته عن الحرب الأهلية الصينية في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي (العشرين)، كما استفاد القائدان الفيتناميان (هو تشي مينه)، و(فو جياب) من حِكَم (سون أتزو) في الحرب الفيتنامية ضد الفرنسيين، ثم ضد الأمريكيين لاحقًا.

ولهذا، فإن الكثيرين يرون أن كتاب "فن الحرب" يناسب استراتيجيات الدول الأضعف. وفي ضوء النقاش الذي يدور حاليًا حول الحرب غير المتكافئة، تُعد قراءة كتاب (فن الحرب) من الأمور ذات الأهمية البالغة للقادة العسكريين، والمخططين الاستراتيجيين في الدول الأضعف، ولكن في الوقت نفسه، فإن هذه

الأفكار متاحة أيضًا للدول الأخرى. وفي كلتا الحالتين، يتعيّن على القادة السياسيين والعسكريين في الدول الأقوى مثل الولايات المتحدة الأمريكية أن يطّلعوا على أفكار (سون أتزو)، لأنهم إن لم يكونوا سيخدمونها فإنهم في حاجة إلى حماية أنفسهم ممن يستخدمونها.

خصّص الكاتب (جريفث) أحد المتقاعدين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ملحقًا في كتابه يوضح كيفية تطبيق اليابانيين لحكم (سون أتزو)، يقول فيه: "إن اليابانيين نشروا (١٠٠) طبعة من كتاب (فن الحرب)، وطبّقوا حكم "سون أتزو" على كافة جوانب حياتهم تقريبًا، بما في ذلك الأعمال التجارية".

ويقف (سون أتزو) و (كلاوزفيتز) على طرفي نقيض فيما يتعلق بمفهوم الحرب؛ فـ (كلاوزفيتز) ينظر للحرب على أنها استمرار للسياسة بوسائل أخرى، أما (سون أتزو) فينظر إليها على أنها وسيلة من بين عدة وسائل سياسية يمكن للقادة السياسيين استخدامها للوصول إلى غاياتهم. ويعكس هذا التمييز الاختلاف بين استراتيجية الولايات المتحدة، والفيتناميين الشماليين في الحرب الفيتنامية، كما توضح أسباب هزيمة الولايات المتحدة في تلك الحرب.

ففي معرض تحليلاته للحرب الفيتنامية رصد (هاري سمرز) حوارًا بين عقيد من الجيش الأمريكي، ونظيره الفيتنامي في مدينة (هانوي) بعد الحرب، إذ قال الضابط الأمريكي: "إن فيتنام لم تهزم الولايات المتحدة في ميدان المعركة أبدا ". ورغم تقبل الضابط الفيتنامي لتلك المقولة، إلاّ أنه أضاف قائلاً: "إن ذلك ليس له علاقة بالموضوع، لأن الحرب لم تكن لتحقيق انتصارات في ميدان المعركة". وفي محاولة لحصر الأخطاء التي اعتقد الكاتب أنها تسبّبت في هزيمة الأمريكيين في فيتنام لم يستشهد بـ (سون أتزو)، وإنما استشهد بنظريات (كلاوزفيتز)، ورغم صحة العديد من النقاط التي طرحها، إلاّ أنها لا تمت بصلة للمجهود الأمريكي في فيتنام، لأن كلا من "سمرز" والمخططين الاستراتيجيين الذين صاغوا خطة حرب فيتنام لم يفهموا جيدًا طبيعة الحرب التي يخوضونها.

إن ما وجده كتاب (سمرز) من ترحيب حار على مستوى القيادات العسكرية

العليا في الجيش الأمريكي يدل على أن العسكريين الأمريكيين لم يستوعبوا بعد ما حدث في فيتنام، فقد كانت الاستراتيجية الفيتنامية كما هو حال استراتيجيات دول شرقي آسيا الأخرى تشبه إلى حدٍ كبير الفلسفة العسكرية التي صاغها (صن تزو) أكثر من أفكار (كلاوزفيتز)، أو الاستراتيجيات الغربية الأخرى؛ فاعتقاد القادة العسكريين الأمريكيين أن عددًا قليلاً من جنود القوات الخاصة يمكن أن يحفِّز قوات التحالف الشمالي الأفغانية لهزيمة نظام طالبان دون الزجّ بأعداد كبيرة من القوات البرية الأمريكية يدل على أن القيادات العسكرية العليا لم تستوعب بعد الدروس المستفادة من (سن تزو)، أو أنها لا تقبلها.

ففي أثناء الحرب الطويلة في الهند الصينية، سعى القادة الفرنسيون والأمريكيون دون جدوى لاستدراج خصومهم من جيوش (فيت منه)، و(فيت كونج)، وجنود فيتنام الشمالية للاشتباك معهم في ظروف مواتية، بحيث تحسم قوة النيران، والمناورة، والإمداد، والتموين، نتيجة المعركة مسبقًا. وقد حدث ذلك مع الفرنسيين في معركة (ديان بيان فو)، ومع الأمريكيين في (كيه سان)، ولم تكن هزيمة الفرنسيين كبيرة بالمفهوم العسكري، ولكن كان لها وقع كبير من الناحية النفسية، مما أدى لانسحابهم بسرعة من الهند الصينية.

وفي معركة (كيه سان)، تم استدراج القوات المسلحة الأمريكية لمنطقة حدودية ذات تضاريس أفضل قليلاً من تضاريس (ديان بيان فو)، بينما شنَّت قوات (الفيت كونج) هجوماً في المناطق الحضرية، وكسبت قوات (الفيت كونج) حرب المدن.

وكان لهجوم قوات (الفيت كونج) تأثير نفسي سلبي على الرأي العام الأمريكي، لا يقل عما أحدثته معركة (ديان بيان فو) من تأثير على الفرنسيين، فقد كسبت الولايات المتحدة المعارك، ولكنها خسرت الحرب، لأنها لم تدرك الاختلاف بين خوضها للحرب وخوض خصمها لها، فقد حذَّر (سون أتزو) من أن معرفتنا لأنفسنا، وجهلنا لعدونا يجعل فرصتنا في النصر تشكِّل حوالي النصف تقريبًا.

وهذا الاختلاف في فهم طبيعة الحرب، هو السمة الغالبة لمنهج خوض الحرب الذي تتبعه معظم الدول الضعيفة حاليًا، فهو منهج يولي أهمية للخدعة، والمناورة أكثر من اهتمامه بقوة النيران، ويسعى لوضع طريقة الحرب حتى قبل أن يعلم الخصم ببداياتها، والأهم من ذلك، أن من ينتهج هذا النهج يدرك أن ميدان المعركة الحاسم نادرًا ما يكون هو الذي تنتشر عليه القوات حاليًا، وإنما يكمن ميدان المعركة في الإرادة السياسية التي يتمتع بها الخصم، وفي قلوب وعقول المواطنين.

بناءً على ما سبق توضيحه، يتعيَّن على القادة العسكريين الأمريكيين أن يستوعبوا الدروس المستفادة من (سون أتزو) عن خوض الحرب، كما يتعيَّن على قادتهم السياسيين صانعي القرارات الاستراتيجية أن يستوعبوها أيضاً، لأن خصمهم يولي عناية بالغة لطريقة تفكيرهم. وليس تغيير طريقة التفكير بالأمر اليسير، لأن ذلك يمسّ اعتقادات ذات جذور راسخة.

وتتدرج معظم تعاليم (سون أتزو) ضمن قائمة ما يُطلق عليه)الحرب غير النظامية). وفي السابق كان هذا الدور محصورًا في عمليات إسناد للمجهود الرئيس من الحرب النظامية. وفي حين أن منهج (سون أتزو) يدخل في نطاق الحرب غير النظامية، فقد ناقش أيضًا حجم القوات النظامية المطلوبة للعمل ضد الخصم، وبذلك يمكن للقوات النظامية أن تتعلّم من (سون أتزو) كما يتعلم منه مقاتلو حروب العصابات أيضًا.

ويقول (سون أتزو): "إن هزيمة العدو دون قتال يتطلب مهارة أكبر من المهارة المطلوبة لتحقيق النصر في ميدان المعركة"، وبذلك فهو يركِّز على المناورة أكثر من قوة النيران، والمناورة قد تتضمن أساليب سياسية ودبلوماسية، أو تشكيلات قتالية". ورغم أن (سون أتزو) يفضّل أن يهزم القائد العسكري خصمه دون اللجوء للقتال، إلاّ أنه يقر باستحالة ذلك في بعض الأحيان.

وتتمحور رؤية (سون أتزو) تحقيق النصر دون قتال حول نقطتين: أولاً: تهيئة البيئة السياسية والدبلوماسية، بحيث يخسر الخصم المعركة قبل أن يبدأ القتال،

وثانيًا: نشر القوات العسكرية بطريقة تؤدي إلى تحييد استراتيجية العدو. ويدل قوله: "إن أفضل سياسة عسكرية تكمن في مهاجمة الاستراتيجيات، يليها مهاجمة التحالفات، ثم مهاجمة الجنود، وأسوأها مهاجمة المدن الحصينة"، على أنه يفضّل المبادرات السياسية. وفي موضع آخر، يقول: "إن استخدام القوة العسكرية يستنزف خزينة الدولة مهما كان حجم الانتصار الذي يتحقق".

وتؤيّد بعض الاستراتيجيات العسكرية التغلغل في دوائر صنع القرار المعادية أثناء سير المعركة، وفقاً لمقولة (سون أتزو) بضرورة السعي للتغلغل في الدوائر الدبلوماسية المعادية لصنع القرار حتى يمكننا تجنُّب المعركة جملة وتفصيلاً. والأفضل من ذلك الوصول إلى عقل العدو، وبهذه الطريقة لا نأخذ بزمام المبادرة فحسب، وإنما يمكننا السيطرة على استجابة العدو أيضًا، وإذا لم يتسنَّ لنا فعل أحد هذين الخيارين، يجب علينا التغلغل في دوائر صنع القرار لدى العدو؛ إلاّ أن فعل هذه الأشياء يتطلب استخبارات جيدة، حبذا لو كانت استخبارات بشرية، لأن استخبارات الإشارة والصور الجوية تكون أقل فعالية.

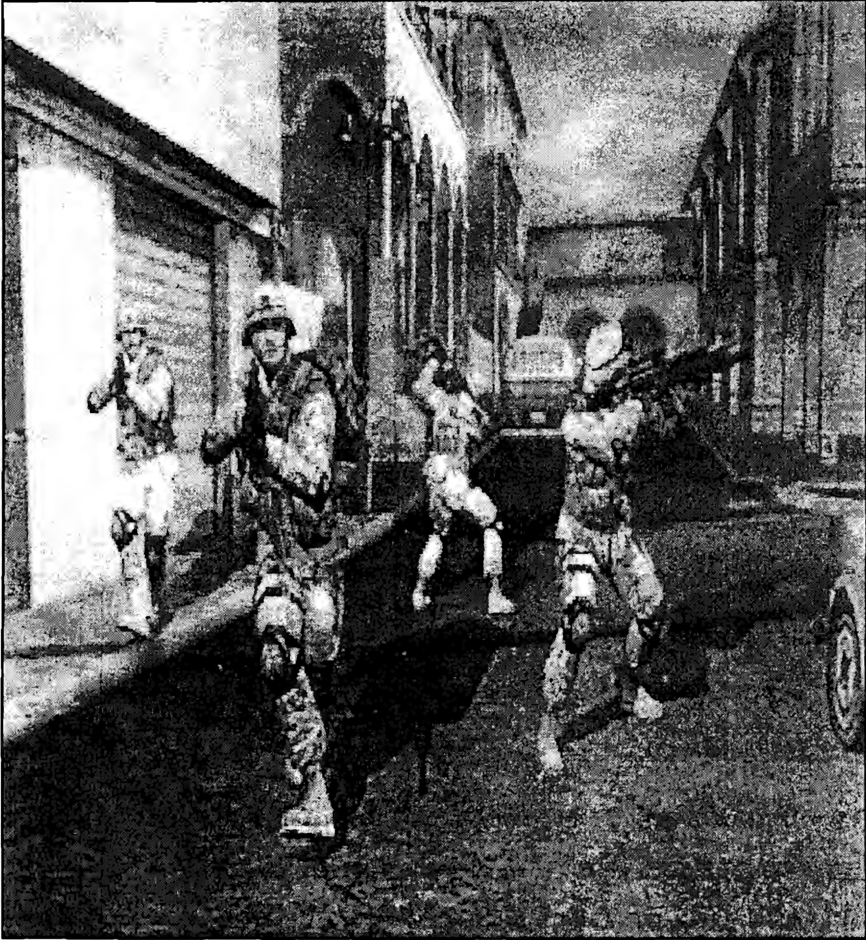
ويمكن تشبيه جانب من الاختلافات بين الاستراتيجية التي طرحها (سون تزو) المعادية ، والاستراتيجية التي تنتهجها الولايات المتحدة، بالاختلاف بين لعبتي (السيقا) الآسيوية والشطرنج، ففي حالة لعب (السيقا) يضع اللاعب بيادقه على اللوحة للتحكُّم في اللعبة والحد من خيارات الخصم، فيفقد الخصم بعض بيادقه، ويخسر بالتالي اللعبة بسبب تفوّق المدافع بالمناورة وليس بالهجوم المباشر، أما في حالة (الشطرنج)، يكون الهدف هو إمساك البيدق الرئيس وهو الملك، ويتطلب ذلك سيطرة كاملة لا تتحقق إلاّ من خلال إمساك بيادق الخصم حتى لا تشكِّل تهديدًا لبيدق الملك وتحمي بيدق ملكها في الوقت نفسه.

ويرى (سون تزو) أن القادة الذين ينتصرون في الحرب دون اللجوء للقتال، لا يذيع صيتهم كرجال حكماء أو شجعان، ومثل هذا الانتصار الذي يفضله (سون تزو) يحدث بغير الصخب الذي عادة ما يلازم الانتصار في الحرب، وربما يكون غياب الضجة والاستعراضات العسكرية من العوامل المهمة للانتصار.

وهكذا يطرح (سون تزو) بعض الطرق والأساليب التي يمكن للدول الأضعف من خلالها تحقيق الفوز على الدول الأقوى. ونظرًا لأن الولايات المتحدة هي الدولة الأقوى حاليًا، فإنها ستواجه مثل هذه الاستراتيجيات التي طرحها (سون تزو) في الحروب التي تخوضها خلال العقود القادمة.

(٧)
ســــــــون أتــزو..
ولـعـب الحـــــــرب

□□□



من هو أول من مارس لعب الحرب؟

سؤال لا يستطيع أحد الإجابة عنه بالتحديد.

ولكن لكي نكون عادلين في إجابتنا دعونا نقول إن لعب الحرب سبقت الحروب المنظمة باعتبار لعبة (الشطرنج) من اللعب القديمة والتاريخية التي عرفها الإنسان منذ آلاف السنين، وقد استخدمت لعبة الشطرنج للتسلية وللتعليم وللتشبيه أيضاً. بالإضافة إلى ذلك هناك ألعاب أخرى مشابهة للشطرنج ظهرت في العصر القديم واندثرت على مر العصور، ولكن من أسرار بقاء لعب الحرب، أن الانتباه للحرب كان أكثر منه للعب الأخرى، ولهذا استمرت لعب الحرب في تطورها مع تطور الحروب على مدى التاريخ، مثلها مثل أي شيء في الحياة رافق تطور الإنسان والمحيط الذي يعيشه، حتى بداية القرن السابع عشر عندما ظهرت لعب الحرب الحديثة الأكثر تنظيما من ناحية أهدافها ووسائلها... إلخ.

واستمرت لعب الحرب في تطورها حتى بداية القرن التاسع عشر عندما قام بعض المفكرين والعسكريين في الجيش الروسي بإعداد أول لعبة حرب واقعية ومفصلة (دقيقة) لغرض التدريب والتخطيط وتحليل طرق الحل المطروحة للعمليات العسكرية.

وقد صممت آلية هذه اللعبة ووضعت قواعدها وقوانينها بناء على معلومات ودراسات دقيقة تتركز على العلم والفكر العسكري في ذلك الوقت بالإضافة إلى التجارب والخبرات والواقع، وبالفعل ظهرت فوائدها ونتائجها العسكرية بشكل واضح.

ومن هذا المنطلق التاريخي لأهميتها بدأت العديد من الجيوش بالاهتمام بها، ويعتبر الألمان لاحقاً أول من أخذ لعب الحرب في الاعتبار بجدية في عملهم وأول من استفاد من نتائجها علميا وعملياتيًا في أواخر القرن التاسع عشر، وفي نفس هذه الفترة من التاريخ ظهرت بعض الكتب التي تتعلق بلعب الحرب وتبرز أهميتها، واستمرت لعب الحرب في التطور التدريجي حتى الحرب العالمية الثانية

حيث بلغ التطور والأهمية للعب الحرب أن أخذت اللعبة طريقاً آخر لايقل أهمية في أهدافه عن أهمية لعب الحرب في التعليم والتدريب.

وهذا الطريق الجديد هو بدء استخدام لعب الحرب في الاتجاه العلمي وبالتحديد في الأبحاث والتحليل، وأصبحت لعب الحرب تسير في اتجاهين متوازيين أحدهما تاريخي والآخر علمي إلى الأمام.

ثم بدأ في وقت لاحق الاتجاه العلمي في لعب الحرب (التحليل) يطغى على التاريخي كما كان في اللعب السابقة، وبدأت لعب الحرب تنظر إلى المستقبل وتركز عليه أكثر من الماضي.

وبعد الحرب العالمية الثانية وخلال فترة الحرب الباردة قام الأمريكيون بتصميم وممارسة لعب الحرب على المستويات الاستراتيجية بدلاً من لعب الحرب السابقة المحددة في أهدافها وأطرافها، وبدأت الفكرة من هذا المنطلق تتشعب وتزداد أهمية وتأخذ طابع الواقعية في كل ما يحيط بها، وازدادت أشكالها وإنتاجها، وبالتالي بدأت في الستينيات من القرن العشرين تأخذ مكانها وتنتشر تجاريا أيضاً.

وبظهور تقنية الحاسوب وبالتحديد في السبعينيات بدأ الحاسوب يدخل مجال لعب الحرب، وبالتالي انخفضت لعب الحرب اليدوية. وباستخدام الحاسوب في مجال لعب الحرب اعتبرت هذه القفزة بداية (العصر الذهبي) للعب الحرب، وازدادت أهميتها، كما ازدادت سرعة انتشارها أيضاً بدخول الحاسبات الشخصية للساحة، ومن هذه النقطة ارتبط تطور لعب الحرب بتطور الحاسبات، وبالتالي تطورت الواقعية والدقة في المدخلات والمخرجات والنتائج، وبدأت الشركات ذات العلاقة تتنافس في صناعة وإنتاج لعب الحرب، حتى أصبحت للعب الحرب في درجة شبه كمال في أدائها وفوائدها، كما دخلت التقنية التجارية للعب الحرب مجالات الحياة الأخرى، والآن تعتبر أنظمة التشبيه في جميع مجالات الحياة شكلاً من أشكال لعب الحرب التي لا تستغنى عنها

أوجه ومجالات الحياة العصرية في التعليم والتدريب والتحليل والتصور المستقبلي للحياة.

لعب الحرب تشبه أي لعبة أخرى يتنافس فيها طرفان أو أكثر لكسب نتيجة اللعب، وقد تكون اللعبة لغرض التسلية أو لكسب الخبرة أو لمعرفة شيء ما أو لإثبات تجربة ما، وبصرف النظر عن الغرض من اللعبة فكرة لعب الحرب موضوع آخر، ويعني بشكل عام مكونات اللعبة وطريقة اللعب.

ومع أن طرق وأساليب اللعب قد تعددت، لكن الفكرة واحدة، وتتلخص في أبسط أشكالها، في أن اللعب يتم على ساحة أو لوحة أو منطقة محددة للعب أو خريطة، ثم تقسم المنطقة التي سيتم عليها اللعب إلى أقسام محددة حسب الحاجة وطبيعة اللعبة، وهذه الأقسام المحددة هي التي ستتم عليها تحركات الطرفين المتضادين اللذين يمثلان على هيئة رموز وأشكال متعارف عليها تنطلق من مواقع محددة باتجاه أهدافها، وهذا كله، سواءً التقسيم أو التحركات أو الرموز أو المواقع، تتم وفقاً لقواعد واضحة وتحكمها قوانين وإجراءات محددة.

وبالنسبة لنا من المنظور العسكري عندما نترجم ما ذكرناه أعلاه نجد أن (مساحة اللعب) هي ميدان القتال وطبيعة الأرض التي ستتم عليها العمليات، والأقسام تمثل المناطق التي يسيطر عليها كل طرف، والرموز تمثل الوحدات، والتحركات تمثل المناورة، وقواعد وقوانين اللعبة تعكس العقيدة العسكرية، والنتائج مبنية على الخبرات والتجارب ونتائج الحروب السابقة... الخ، وأبسط مثال يمكن أن نتخيل لعب الحرب بواسطته هو: (لعبة الشطرنج) التي تمثل شكلاً من أشكال لعب الحرب الأولية صممت واستخدمت لغرض معين وفقاً لقوانين وقواعد ثابتة وواضحة.

ومن أهم النقاط التي يجب معرفتها: أن لعب الحرب بأشكالها وأنواعها ومختلف أغراضها واستخداماتها لها بداية ونهاية واضحة ومحددة مبنية على الخبرات السابقة وموجهة لغرض معين من اللعب.

نظرا لتاريخ لعب الحرب الطويل فقد تعددت تعاريف ومفاهيم لعب الحرب

من جيل إلى آخر ومن عصر إلى آخر، ولكن رغم ذلك كانت جميع هذه التعاريف والمفاهيم متقاربة وتنتهي في نقطة واحدة، نستطيع أن نلخصها في عبارة بسيطة وواضحة وشاملة تجمع بين الماضي والحاضر وهي أن لعب الحرب: (عبارة عن محاولات للقفز إلى المستقبل بفهم الماضي)، ومن هذا التعريف البسيط ندرك بأن لعب الحرب تجمع بين طياتها علماً وفنّاً، وبدونهما لا يمكن تصميم وممارسة لعب الحرب أو الاستفادة منها.

وقد عرفت لعب الحرب من المنظور العسكري بأنها (عبارة عن تشبيه عملية عسكرية حقيقية أو افتراضية لطرفين أو أكثر متضادين وفقاً لقوانين ومعلومات محددة، وممارسة اللعبة وفقاً لإجراءات معينة)، كما عرفت لعب الحرب بأنها عبارة عن (نوع من الحرب التشبيهية التي تتم بدون قوات عسكرية حقيقية، والتي تعتمد أحداثها على قرارات أطراف النزاع) .

كما عرفت أيضا بأنها عبارة عن (تمثيل موقف معين بناء على قواعد وإجراءات محددة لطرفين أو أكثر مبنية على قواعد ومعلومات وإجراءات)، كما عرفت أيضاً بأنها (عبارة عن تشبيه معركة أو حملة لتقويم الأفكار العسكرية وكيفية تطبيقها).

أما مفهوم لعب الحرب فيدور حول (القيام بتجارب لتحسين نوعية القرارات البشرية في موقف معين خلال تشبيهها وتنفيذها وإدارتها بناء على قواعد علمية)، ومن أهم النقاط التي يجب مراعاتها عند التمعن في تعريف لعب الحرب ومفهومها أن نميز بينها وبين مصطلحات عسكرية وأنظمة أخرى تشابه وتشارك لعب الحرب في أدائها واستخداماتها، ومن هذه الأنظمة ما يسمى بأنظمة التشبيه (Simulation Systems) التي هي عبارة عن (تشبيه نظام متكامل معين بنظام آخر يعمل بشكل يماثل النظام الأساسي) مثل أنظمة تشبيه القتال والتي سأتطرق لها في الجزء الأخير من هذا المقال، كذلك مصطلح النماذج (Models) التي هي عبارة عن (تمثيل نظام محدد أو موقف معين بنظام آخر لديه القدرة على تمثيل النظام الأساسي) مثل تشبيه أنظمة الاستخبارات أو أنظمة الإسناد الإداري... الخ.

ولهذا فإن النماذج في مجموعها غالباً ما تكوّن نظام التشبيه المتكامل، وبالتالي يتمكن المستخدم من ممارسة لعبة الحرب على أنظمة التشبيه، وبهذا نستنتج أن لعب الحرب تعتبر تشبيهاً، بينما أنظمة التشبيه لا تعتبر لعب حرب.

كما لا ننسى أيضا ما يسمى بالمشبهات (Simulators) التي تستخدم لتشبيه الآليات والأسلحة والمعدات، وتستخدم للتعليم والتدريب على المستويات الفردية والأطقم، وتسقط فكرة هذه المشبهات تحت مظلة أنظمة التشبيه، وبهذا نستنتج أيضاً أن مفهوم التشبيه أوسع وأشمل من مفهوم المشبهات المحددة الغرض التي تحاكي نظاماً محدداً بعينه.

تاريخ لعب الحرب

يبدو من الوهلة الأولى أن مصطلح لعب الحرب حديث، ولكنه في الحقيقة قديم في فكرته وتطبيقه واستخداماته.

ولو تتبعنا جذور لعب الحرب لسلكنا عدة طرق مجهولة في بداياتها ونهاياتها، لأنه لا يعرف أحد بدقة متى وأين ولماذا بدأت لعب الحرب؟

ولكن رغم ذلك يمكن أن تقودنا بعض هذه الطرق إلى عصور سالفة ثبت أن معاصريها مارسوا لعب الحرب، حيث دوّن التاريخ أن الصينيين مارسوا لعب الحرب في العصر القديم، وذلك قبل (٥٠٠٠) عام تقريباً قبل الميلاد، وهي الفترة التي عاش فيها المفكر العسكري الاستراتيجي الصيني (سون تزو) الذي دون بعض العقائد العسكرية ومبادئ الحرب وعلومها وفنونها في ذلك الوقت.

وقد دون التاريخ أيضاً أن الصينيين كانوا يلعبون (لعب الحرب) على لوحات خاصة بذلك ويستخدمون حجارة ملونة تمثل الأطراف المتبارية، وتطبق خلال اللعبة استراتيجيات وفنون قتال مختلفة تهدف لتطويق الخصم، وقد استخدم القادة العسكريون في ذلك الوقت لعب الحرب لمراجعة وشرح خططهم للحملات العسكرية. كما دوّن التاريخ العسكري من فترة إلى أخرى مثل هذه الاستخدامات العسكرية للعب الحرب في كل من الهند - اليونان - مصر وغيرها.

ورغم هذه الأهمية للعب الحرب إلا أنها لم تنتشر عسكريًا بالشكل الذي نتصوره حتى القرن السابع عشر من الميلاد، وذلك عندما بدأت تعطى أهمية وجدية أكثر مما سبق، مرافقة بذلك ظهور التنظيمات العسكرية الأكثر تنظيماً واحترافاً، وبالتالى صمموا واستخدموا لعب الحرب بشكل أكثر دقة وواقعية، حيث قاموا بتمثيل وتصوير طبيعة الأرض على طاولة اللعب بشكل دقيق ونسبة إلى مقياس رسم. ومنها استمرت لعب الحرب في التطور التدريجي حتى أصبحت لها مكانتها في العلم والفكر العسكري في ذلك الوقت، إلى درجة أنها أدخلت ضمن مناهج التعليم في الكليات العسكرية، وجهزت لها أماكن ووسائل خاصة بها كوسيلة تعليمية تظهر على شكل طاولة رمل مبنية على مقياس رسم تعكس طبيعة الأرض وحجم القوات ونوع التكتيك المتبع في ذلك الوقت، واعتبرت هذه الفترة حجر الأساس للعب الحرب الحديثة ولهذا يعتقد البعض أن هذه هي النشأة الأولى للعب الحرب.

كما استخدم الألمان وغيرهم من الدول التي شاركت في الحرب العالمية الأولى لعب الحرب كوسيلة لتحسين نوعية قرارات القيادات المختلفة، وخاصة القيادات العليا منها، وفي نفس الفترة أيضاً استخدمها اليابانيون لنفس الأغراض، وكانوا يمارسونها في كلية الحرب، كما كان للبحرية الأمريكية دور كبير في تطوير لعب الحرب، وقد كسبت البحرية الأمريكية شهرة نتيجة الاهتمام بلعب الحرب وتطويرها إلى درجة أن اعتمدت عليها القيادات العليا في أمريكا كوسيلة للوصول إلى أفضل القرارات السياسية للمواقف والفرضيات التي يطرحونها.

ونتيجة لهذه الأهمية التاريخية للعب الحرب أصبحت أداة هامة على مر العصور وازدادت أهميتها من فترة لأخرى حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من أهمية في شتى المجالات في وقتنا الحاضر وخاصة في المجال العسكري على مختلف مستوياته وما زالت أهميتها تزداد من يوم إلى آخر كلما ازداد التقدم التقني وتطورت طبيعة الحرب ووسائلها، والدليل على ذلك واضح من استخدام وانتشار لعب الحرب نتيجة تقدم وانتشار علم الحاسوب الذي حول مجرى تاريخ لعب الحرب من اللعب اليدوي إلى اللعب الإلكتروني، وهذا بدوره زاد من أهميتها

ومتطلباتها وأشكالها واستخداماتها. ولا ننسى أن ما نراه اليوم من لعب حرب خاصة أو تجارية أو غيرها... ما هي إلا امتدادا للعب حرب يدوية بدأت باللعب على لوحات بسيطة أو باللعب على الرمل أو غيره وانتهت بالحاسوب، ورغم التقدم التقني الذي توصل إليه العلم اليوم لا تزال هناك ثلاثة أنواع مستخدمة من لعب الحرب وهي: على لوحات خاصة باللعبة، أو على الرمل، أو على الحاسوب.

ويتلخص أبرز معالم تاريخ لعب الحرب الذي تطرقنا له فيما يلي:

أ- فكرة لعب الحرب تعود إلى زمن طويل ق.م، ويذكر أن المفكر الاستراتيجي الصيني (سون اتزو) مارسها على لوحة خاصة وعليها حجارة ملونة تمثل قوات الطرفين ويهدف كل طرف إلى تطويق الطرف الآخر، وانتشر استخدام مثل هذه اللعبة في ذلك الوقت في عدة بلدان مثل: الهند واليونان ومصر وغيرها من بلدان العصر القديم.

ب- استمرت الأهمية للعب الحرب محصورة في المجال العسكري بشكل خاص وتتقدم معه وتتأخر بتأخره حتى القرن السابع عشر.

ج- عام ١٦٤٤ ظهرت في ألمانيا لعبة الملوك (الشطرنج المطور) وتتم وفقاً لتحركات محددة عددها (١٤) حركة، ومكونة من (٣٠) قطعة لكل طرف تمثل القوات العسكرية وسميت لاحقاً بالشطرنج العسكري.

د- عام ١٧٨٠ ظهرت لعبة حرب مطورة عن السابق، وتتكون من لحـ١٦٦٦الخ مربعاً و(١١٨) قطعة تمثل القوات، وقسمت المربعات بشكل يمثل ستة أنواع من طبيعة الأرض، وتلعب وفقاً لقوانين وقواعد محددة، وانتشرت هذه اللعبة في فرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا وغيرها من الدول الأوربية.

هـ- عام ١٧٨٩ طورت ألمانيا لعب الحرب السابقة إلى (٣٦٠٠) مربع مثلت الحدود البلجيكية - الفرنسية وتتم ممارستها بقوانين وإجراءات أكثر دقة.

و- عام ١٨١١ طور ضابط بروسي (فون ريسيفيتز) لعب الحرب من لوحة إلى

طاولة رملية تمثل طبيعة الأرض تماماً ومبنية على مقاييس رسم، ووضعت لها قواعد وقوانين دقيقة بالإضافة إلى أخذ عوامل الطقس وإمكانات وقدرات القوات والأسلحة والمعدات في الاعتبار، وكان ذلك هو أساسا جديدا قويا للعب الحرب الحديثة.

ز- عام ١٨٢٤ تطورت لعب الحرب إلى (خريطة) مبنية على مقياس رسم، وكانت هذه بداية حقيقية للعب الحرب البرية الحديثة لأنها أبرزت دور عناصر إسناد القتال بشكل أكثر وضوحاً.

ح- عام ١٨٧٦ تطورت لعب الحرب إلى لعب حرة (تعتمد على اللاعبين) بدلاً من قوانين التحركات الثابتة.

ط- عام ١٨٧٨ ظهرت أول لعبة حرب بحرية قام بتصميمها (ضابط إنجليزي).

ي- عام ١٨٧٩ دخلت لعب الحرب الولايات المتحدة الأمريكية.

ك- ١٨٨٠ ظهرت لعب حرب أمريكية (Strategos).

ل- عام ١٨٨٧ دخلت لعب الحرب كلية الحرب البحرية الأمريكية.

م- مع بداية القرن العشرين توسع الاستخدام العسكري للعب بشكل ملحوظ في أوروبا وأمريكا ودخلت إلى جميع التنظيمات العسكرية بشكل عام والمؤسسات التعليمية بشكل خاص.

ن- قبل وأثناء الحربين العالميتين استخدم الألمان لعب الحرب بشكل واسع على مختلف المستويات لتحسين نوعية قراراتهم، وخاصة على المستويات العليا.

س- أثناء الحربين العالميتين استخدم اليابانيون أيضا لعب الحرب بشكل كبير، ولكنهم أساؤوا استخدامها في تقويم نتيجة ضرب ميناء (بيرل هاربر) ولم يحسنوا حساب النتائج، التي كانت قاضية بالنسبة لهم.

ع- جميع الدول الأوروبية - والولايات المتحدة الأمريكية - والدول المشاركة

في الحربين العالميتين استخدموا لعب الحرب بشكل جدي، وكان لها دور واضح في نوعية القرارات على مختلف المستويات.

ف- في نهاية الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة ظهر المسار العلمي الجديد للعب الحرب في استخدامها لأغراض التحليل.

ص- في السبعينيات من القرن العشرين دخل الحاسب مجال لعب الحرب.

ق- انتشار لعب الحرب تجارياً واستخدامها في شتى المجالات.

ر- من تسعينيات القرن الماضي العشرين وحتى اليوم بدأ انتشار واستخدام لعب الحرب في شتى المجالات بشكل لم يسبق له مثيل، والاعتماد عليها في تحسين القرارات إلى درجة كبيرة.

مكونات لعب الحرب

من المنظور العسكري يمكن أن نتصور شكل لعب الحرب، كخارطة وضعت عليها أشكال أو رموز تمثل الوحدات العسكرية للطرفين، ويتم التنافس بين الطرفين وفقاً لقواعد وقوانين وإجراءات محددة مبنية على علم وخبرة تضع للعبة حدوداً وبداية ونهاية.

ولممارسة لعب الحرب بمختلف أنواعها يجب أن تتوافر المتطلبات والعناصر التالية:

أ- الهدف.

ب- الفرضية (الموقف المرغوب تشبيهه).

ج- المعلومات اللازمة للمشاركين (عن كل طرف في اللعبة).

د- النماذج (نوع اللعبة المرغوب مزاولتها).

هـ- قوانين اللعبة ووسائل السيطرة اللازمة.

و- إجراءات اللعبة.

ز- اللاعبون (عدد الأطراف وعدد المشاركين في كل طرف).

ح- آلية تدوين وتحليل الدروس المستفادة.

ط- كيفية النهاية.

الاختلافات الجوهرية بين لعب الحرب:

تشكل الاختلافات الجوهرية بين لعب الحرب العناصر الأساسية لتصنيف لعب الحرب، وتتلخص فى الآتي:

أ- نوع اللعبة (يدوية - إلكترونية).

ب- الإمكانية في عدد الأطراف المشاركة في اللعبة (جانب أو أكثر).

ج- طريقة اللعبة (حر - مقيد).

د- كم ونوع المعلومات المتوافرة في اللعبة ومدى دقتها (مفتوحة - محدودة).

تصنيف لعب الحرب من حيث المشاركين:

أ- ذات جانب (الجانب الآخر يمثله الحاسوب أو هيئة إدارة اللعبة).

ب- ذات جانبين (الأحداث تعتمد على تفاعل قرارات الطرفين).

ج- متعددة الأطراف (استراتيجية أو عملياتية وغالباً سياسية).

ويدور محور لعب الحرب حول تفاعل قرارات أشخاص معينين من طرفين أو أكثر ينتج عنها أحداث اللعبة، ولهذا تستخدم لعب الحرب عسكريّاً كأداة لمعرفة آلية الحرب أو القتال ووسيلة لطرح الأسئلة تتم الإجابة عليها من تحليل مجريات اللعبة، ولهذا فهي تساعد القادة والأركانات على ممارسة صنع القرارات العسكرية لمواقف معينة قد يصعب تجربتها أو تطبيقها على أرض الواقع في وقت السلم، وهذا يعني أن لعب الحرب تستخدم أيضاً كوسيلة لتبادل الآراء والأفكار، ولتحسين نوعية القرارات النهائية تجاه موقف معين، وبهذا يجب على المشاركين أن يدركوا بأن قراراتهم هي محور اللعبة، ولهذا يجب أن يستعدوا للعب بطريقة سليمة وواقعية حتى يضمنوا الوصول إلى قرارات سليمة، مع الحرص على عدم

الميل إلى نتائج اللعبة كواقع مسلم به وبدون تحليل دقيق، كذلك يجب مراعاة الابتعاد تماماً عن توجيه اللعبة للحصول على نتيجة معينة، لأن الغرض من لعب الحرب هو اكتساب خبرات ومعلومات مستقبلية قبل التنفيذ الفعلي، ولهذا تنحصر مجالات استخدام لعب الحرب في الآتي:

أ- التدريب (صنع القرارات) على مختلف المستويات.

ب- التخطيط (تقويم الخطط) على مختلف المستويات.

ج- الأبحاث (دراسة متطلبات المستقبل، ومنظومة أسلحة المستقبل) على مختلف المستويات.

د. التسلية (لكسب الخبرة - التنافس - وتنمية مهارات الأشخاص).

أنواع لعب الحرب من المنظور العسكري

أ- لعب حرب خاصة بالتدريب: ويتم تصميمها على أساس أن تساعد مستخدميها على تصور تسلسل المواقف المتتالية التي تحدث أثناء القتال، وتطوير مهاراتهم في مجال القيادة والسيطرة.

ب- لعب حرب خاصة بالعملياتي: ويتم تصميم هذا النوع على أساس توفير إمكانية القيام باختبار وتقويم لمدى صلاحية الخطط العسكرية المقترحة أو المطروحة.

ج- لعب حرب خاصة بالأبحاث: ويصمم مثل هذا النوع من لعب الحرب لدراسة المواضيع المستقبلية سواء مواقف أو أنظمة معينة أو خلافه.

مستويات لعب الحرب:

يمكن للمستخدم أن ينظر إلى الحرب من عدة اتجاهات. وبالنسبة لنا كعسكريين يمكن أن نقسم لعب الحرب بالنسبة لمستوياتها إلى الآتي:

أ- لعب حرب على المستوى الاستراتيجي (على مستوى الدولة): ويصمم وينفذ هذا المستوى من لعب الحرب لمساعدة صانعي القرارات على المستويات العليا في

الدولة على اتخاذ أفضل قرارات ممكنة لاستخدام أدوات القوة الوطنية لتحقيق الأهداف الوطنية ورعاية مصالح الدولة، ومن هذه الأدوات الوطنية القوة العسكرية.

ب- لعب حرب على المستوى العلملياتي (على مستوى المسرح): وتصمم لخدمة القيادات المشتركة لمساعدتهم على اتخاذ أفضل القرارات اللازمة لاستخدام الأداة العسكرية كأداة قوة وطنية فاعلة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية العسكرية المرسومة على المستوى الوطني.

ج- لعب حرب على المستوى التكتيكي (على مستوى ميدان المعركة): وتصمم هذه اللعبة لمساعدة القادة ضباط الأركان على اتخاذ أنسب القرارات لتوجيه وحداتهم على المستوى التكتيكي لتحقيق الأهداف التكتيكية في ميدان المعركة.

مجالات لعب الحرب:

تمارس لعب الحرب على مختلف المستويات في المجالات التالية:

أ- السياسية.

ب- الاقتصادية.

ج- الاجتماعية.

د- المعلوماتية.

هـ- العسكرية وتشمل:

(١) ختلف المستويات في كل فرع من أفرع القوات المسلحة.

(٢) على مستوى القيادة المشتركة.

(٣) على مستوى القيادات المختلطة.

أساليب تشبيه لعب الحرب:

أ- يدوية (مثال: الطاولة الرملية - أو لوحة - أو على الخريطة).

ب- بالحاسب الآلي:

(١) كمساند فقط (يستخدم الحاسوب لحساب الخسائر ونتائج الاشتباكات فقط)، ويتم اللعب على الطاولة الرملية أو الخريطة أو لوحة معينة.

(٢) نظام متكامل (إدارة كاملة للعملية) ويتم اللعب على الحاسوب.

ج- آلية (مشبهاب آليات، معدات، منظومات الأسلحة، مقلدات الليزر... الخ).

خصائص لعب الحرب الحقيقية:

أ- الدقة في التصميم (حسب الحاجة الغرض).

ب- المرونة في قبول القرارات.

ج- التكيف مع المتغيرات في المدخلات.

د- الواقعية في المدخلات والمخرجات.

هـ- إمكانية التوثيق للمدخلات والمخرجات.

لماذا تمارس لعب الحرب؟

أ- محاولة الوصول إلى معرفة وتصور خفايا المستقبل.

ب- معرفة الماضي والاستفادة من خبراته في الوقت الحاضر.

ج- محاولة الوصول إلى المعرفة في موضوع معين في موقف محدد.

د- معرفة النتائج أو ردود الفعل التي تترتب على قرارات معينة.

هـ- الوصول إلى حلول وقرارات لحل المعضلات (المهام).

و- التعليم المركز القليل التكاليف، وفي الأوقات المختارة مثل: تعليم القادة والأركان.

ز- التدريب على القيام بأدوار معينة في أوقات محددة لتحقيق أفضل النتائج.

ح- لإيجاد ظروف لا يمكن أن تتوافر في الواقع.

ط- تطبيق أعمال لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع.

ي- تجربة نشاطات معينة في اللعبة قبل تطبيقها على الواقع.

ك- تقويم الخطط العسكرية على مختلف المستويات وتطويرها.

ل- تعريف كل شخص أو تنظيم بأدواره وواجباته بطريقة موقوتة.

م- تحسين نوعية وتوقيتات القرارات المتخذة.

ن- اختيار أفضل البدائل المطروحة.

س- معرفة آلية العمليات العسكرية حتى إنجاز المهمة.

ع- الإجابة على الأسئلة التي تتطلب التحليل.

ف- تقويم الأسلحة والمعدات تحت ظروف معينة.

ص وسيلة اتصال بين صانعي القرارات.

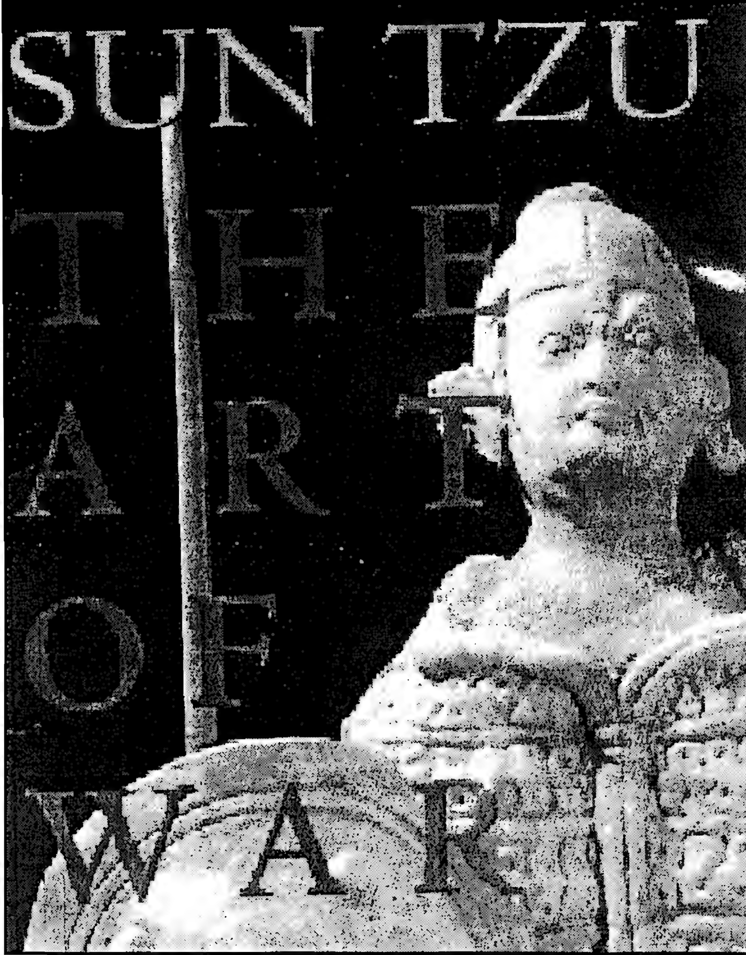
ق- تصميم وتجربة أنظمة المستقبل (قدرات عسكرية - أفكار عملياتية - أسلحة - عقائد).

ر- تقويم القدرة القتالية الحالية.

ش- ممارسة (التمارين) على أي مستوى بأقل عدد من الطاقة البشرية وبأقل جهد.

(٨)
ســـون أتزو.. وفن الحـــرب
وكلمــات خلدها التــاريخ !!

□ □ □



يقـول سـون أتزو من بين مـا يقـوله في كـتـابه ولا يزال يعلق بأذهان جـمـيع السـياسيين والعسكريين في العالم حتى يومنا هذا وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- إن ما يصلح للتطبيق في الحرب، يصلح للتطبيق في الحياة اليومية.

- عندمـا نسـتـعـد لدفع قـواتنا للتحـرك، يجب أن نتظاهر بالتكاسل (وهو مـا حدث في حرب أكتوبر ١٩٧٣ على سبيل المثال).

- عدم وجود الشـعر الأبيض ليس دليـلا على القوة، ورؤية الشـمس والقمـر لا تعني حدة البصر، وسماع الرعد لا يؤكد سلامة الأذن.

- القـرار الأقل صـوابا في وقت الحـاجـة إلى الحـسم، أصـوب من القـرار النموذجي بعد ضياع الفرصة.

- التظاهر بالاضطراب يتطلب قدرا عاليا من النظام.

- يا أيها الفن المقدس: فن السرية والكتمـان؛ منك تعلمنا أن نتـخفى، فلا يرانا أو يسمعنا عدونا، لنقبض نحن على مصيره في أيدينا.

- إن الموقع الذي سنبادر بمهاجمته، يجب أن يكون في طي الكتمان، لأن العدو سيضطر حينها للدفاع عن جميع مواقعه.

- يجب أن يكون اتجاه مخططاتك العسكرية كاتجاه المياه، من أعلى إلى أسفل.

- إن المبـدأ الذي ينبـغي اتبـاعـه في الحـرب هـو: يجب تجنب نقـاط القـوة، والضرب على نقاط الضعف.

- جيش بدون وسـائل نقل للأمتعة مفقود، وجيش بدون مئونة كافيـة مـفقود، وجيش بدون مصادر للإمداد والتزويد، سيكون كذلك مفقودا.

- لن نكون قـادرين على أن نحـقق السـبق والتـقـدم، إذا لم نعـتـمـد على أدلاء محليين، من نفس البلاد التي نمر بها.

- حينما تبادر بالهجوم، كن سريعا كالريح، ومتشابكا كالغابات.

- في هجومك كن كالنار، وفي ثباتك كن كالجبل.

- اجعل خططك غامضة كالليل، وعندما تتحرك انطلق كالعاصفة.

- تكون الروح المعنوية للجنود في أوجها صباحا، وعند الظهر تأخذ في التراجع، ومع حلول المساء يفكرون في العودة للمعسكر.

- لا تقطع طريق جيش منسحب إلى وطنه.

- عندما تحاصر جيشا، اترك له ثغرة للهرب، ولا تزيد الضغط على عدو يائس.

- لا تطارد العدو الذي يتظاهر بالانسحاب، ولا تهاجم الجنود وقد تملكهم الهياج واليأس.

- عندما يتملكك اليأس يجب أن تقاتل.

- هناك طرق يجب ألا تقطعها، وجيوش يجب ألا تهاجمها، ومدن يجب ألا تحاصرها، ومواقع يجب ألا تقاتل فيها، كما أن هناك أوامر للحاكم يجب ألا تُطاع!!.

- اجعل معسكرك في موضع مرتفع ومشمس، ولا تتسلق المرتفعات لملاقاة العدو، واعلم أن حروب الجبال أكثر كلفة، وأكثر تطلبا لبذل الجهد.

- إن اتخاذ المياه ساحة للمعركة، أمر في غاية الكلفة والإجهاد.

- ارتفاع الطيور في السماء دليل على وجود كمين، وذعر الحيوانات يشير إلى أن هجوما مفاجئا على وشك الوقوع.

- إذا ما تجمعت الطيور في موقع، كان ذلك دليلا على خلوه من الأعداء، وإثارة الضجيج ليلا دليل على العصبية.

- إن عروض السلام التي لا يصاحبها ميثاق وعهد مؤكد، غالبا ما تكون محض مكيدة مدبَّرة.

- إذا تفشى الصراع بين الجنود حول نيل الرتب، فإن اللحظة الخطرة قد حانت.

- إذا ما تقدمت بعض فرق العدو، وتراجع البعض الآخر، كان ذلك دليلا على وجود خدعة.

- عندما يسبقك العدو إلى احتلال ممر ضيق، لا تتبعه مادام الطريق جيد التحصين، وتقدم فقط إذا ما كانت التحصينات ضعيفة.

- بعيدا عن العوامل الطبيعية، هناك ست كوارث قد تصيب الجيش من قبل قائده، وهي: الهروب، التمرد وعصيان الأوامر، التدهور والانهيار، الدمار، الفوضى، الهزيمة.

- التنظيم المتقن للدولة، أفضل حليف للجندي.

- إذا كنت واثقا من تحقيق الانتصار، بادر بشن الهجوم، وإن كان ضد أوامر الحاكم، وإذا كنت واثقا من الهزيمة، لا تتقدم، وإن أدى ذلك لمخالفة أوامر الحاكم.

- إذا ثبت لدينا حسن إعداد جنودنا للمواجهة، وضعف إعداد عدونا، نكون قد قطعنا نصف الطريق إلى النصر.

- عندما تعرف العدو، وتعرف قدراتك، فأنت لاشك سوف تحرز الانتصار، وعندما تعرف حالة الجو والأرض، فإن انتصارك سيكتمل.

- إن القادة الأفذاذ هم من يستطيعون استغلال لحظة تشتت جنود العدو، فيحولون دون تجمعهم مرة أخرى، ويعملون على تعميق الفرقة والفوضى بين صفوفهم.

- هاجم دولة غنية، ذات أرض خصبة، لتضمن الغذاء لجنودك.

- اعمل على نبذ التطير، وابتعد عن الشكوك، حتى لا يكون هناك خوف من أي شيء، فالموت ذاته يجب ألا يمثل لك كارثة.

- القائد الجيد هو من يقود جيشه، وكأنما يقود فردا واحدا من فرط التعاون.

- يجب على القائد أن يكون هادئا، وأن يحرص على: السرية، والعدل، والانضباط، لكي يضمن تنفيذ أوامره.
- إن خطط العدو لا يمكن الحصول عليها إلا بتجنيد بعض الجواسيس، وهنا تكمن أهمية استخدام الجواسيس.
- للجواسيس خمس فئات هي: الجواسيس المحليون، الجواسيس الداخليون، الجواسيس المنشقون، الجواسيس المحكوم عليهم، الجواسيس المستمرون.
- اقبض على جواسيس العدو وجندهم لحسابك.
- إذا ما تم تسريب معلومات سرية إلى جاسوس، قبل الوقت المقرر لذلك، وجب قتل ذلك الجاسوس، ومن سرب له المعلومات.

هذه هي بعض العبارات الواردة بكتاب "فن الحرب" لسون أتزو، تدل على طريقة تفكير صاحبها، وبُعد نظره في فترة مبكرة من التاريخ الإنساني.

الجزء الثاني

فن الحرب

سون أتزو

Art of War

Sun Tzu

الفصل الأول

التخطيط للحرب
كيف يتم اتخاذ قرار الحرب؟

لا يوجد في حياة الأمم ما هوأخطر من قرار شن الحرب. فالحرب لا تتوقف عند كونها ساحة للدم تزهق فيها أرواح الجنود، وإنما هى جهد جماعي لكل أفراد المجتمع، ويمكن أن تحول بلاد بأكملها إلى أراضٍ يعمها الخراب والدمار.

ومن هنا فلا يمكن أن نستهين بأي حال من الأحوال بتبعات الحرب، ومن ثَمَّ يجب أن نتريث قبل اتخاذ القرار بشنها.

ومن ثَمَّ فمعرفة فن الحرب ذو أهمية حيوية للدولة. فهى مسألة حياة أو موت، وبمثابة الطريق إلى بر الأمان أو إلى حيث الخراب، ولذا فالحرب دائما قضية تستحق البحث والتحري والتدقيق والتمحيص، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهلها أو الاستهانة بها.

الحرب مسألة خطيرة للدولة، إنها ميدان الحياة والموت، وهي الطريق التي تؤدي إلى العيش أو الفناء، لذلك من المستحيل عدم دراستها بعمق!.

والمخطط الجيد يُخْضِع العدومن دون قتاله.

وفي حالة الصراع المسلح، على الرجل الارتكاز على عاملين حاسمين هما: ملكة العقل والفضيلة، لأنهما إذا استخدما بشكل صحيح يؤديان إلى النصر. ولذلك لا يجب التعامل مع الحرب بخفةٍ وتهوّر، إنما يجب استباقها بإجراءات تؤدي الى تسهيل تحقيق النصر.

أخذ البلاد العدوة سالمة، هوأفضل من تدميرها، وأسّر الجيش المعادي أفضل من تدميره، وذلك مرتبط بسياسات إدارة الحرب، فإحراز مائة انتصار في مائة معركة ليس هوالأفضل، بل إن إخضاع العدو بدون قتال هوأفضل ما يكون، أما في حال عدم إمكان الوصول الى تلك النتيجة وبالوسائل المتوافرة، فعندها يتم اللجوء الى القوة المسلحة لتحقيق النصر، ولكن وفق الشروط الآتية:

- اختصار فترة الحرب.
- تخفيف الآلام والخسائر البشرية.
- تكبيد العدوأقل خسائر ممكنة.

ويجب وضع الحرب في إطارها السياسي وقيام التحالفات، كذلك أشار الى وحدة الجبهة الداخلية واستقرارها، وأهمية معنويات الجيش في مقابل تصديع جبهة العدوالداخلية وتخفيض معنويات جيشه، كما حاول إيجاد قاعدة ثابتة للمقارنة العقلانية بين طرفي النزاع، في العوامل المرجحة للنصر، كالمعنويات والطاقة الفكرية والجسدية، والبيئة والظروف الجوية والتخطيط والمال، والنظام والتدريب والمكافآت والعقوبات.

وإذا كان للحاكم أن يقيم قضية الحرب قبل اتخاذه قرارا بشنها، وإذا كان يتوجب عليه قياس درجة صعوبة الحرب أو مخاطرها بهدف التعرف على إمكانيات النصر أو احتمالات الهزيمة.. إذا كان للحاكم أو إذا كان بالأحرى يتحتم عليه ذلك فإن بمقدوره أن يعتمد في تقييمه على مبادئ خمسة ثابتة تحكم فن الحرب أوتحسم قرار دخول الحرب وهى :

١- السياسة

٢- المناخ

٣ - الجغرافيا

٤- شخصية القائد

٥- النظام العام

السياسة أو القانون الأخلاقي أو التعاقد الأخلاقي بين القيادة التي تعمل لصالح الشعب والشعب الذي يقدم لها الولاء والطاعة، هذا التعاقد هوما يدفع الأفراد لاتباع أوامر القائد العام دون تردد، ودون خوف من العواقب. (التدريب المستمر يجعل الضباط مستعدين للحرب، غير مترددين أوقلقين، كما أن القائد سيكون مستعداً كذلك بدوره). إذن السياسة هى ذلك الشيء الذي من أجله يكون الشعب في انسجام وائتلاف مع السلطة العليا، ومن ثم فإنهم يتبعون هذه القيادة غير مبالين بحياتهم ودون أدنى تفكير في الخيانة.

أما التأثير المعنوي للسياسة بهذا المفهوم فيعني تعايش الشعب مع زعمائه في

وثام، بحيث إن الشعب سوف يشارك زعماءه في الحياة حتي الموت دون أن يخشي خطر الموت، ثم يركز علي مسألة القيادة : تعبير القيادة يعني صفات الجنرال، من حيث الحكمة والصدق والإنسانية والشجاعة والانضباط، ثم يفسر هذا المفهوم بالإجراءات العسكرية المواكبة.

والمناخ هوالإلمام ببمتغيرات المناخية على مدى الليل والنهار، البرودة والحرارة، الأوقات والفصول الأربعة، الرياح والسُحب.

أما الجغرافيا فتشمل التضاريس من أرض وجبال ووديان، المخاطر ومدى الأمان، الأراضي المفتوحة والممرات الضيقة، احتمالات النجاة والموت.

اما شخصية القائد أو مواصفاته يمكن القول إن القائد يرمز إلى فضائل الحكمة والإخلاص (التفاني في العمل) وحسن الخُلق والشجاعة والحزم.

وهناك مواصفات أساسية ونصائح مهمة لمن يريد أن يكون قائدا ناجحا وهى:

- تحمل المسؤولية : إن أردت أن تكون قائدا فتحمل مسؤولية نتائج أعمالك وأعمال من تقودهم. إستخدم سلطاتك باتزان وببراعة وبروح المبادرة
- أعرف نفسك : كن صادقا حين تحكم على نفسك وجرب الرقي بها دوما، إن شعرت يوما أنك أفضل من في دائرتك فلا تجهر بهذا الشعور
- كن قدوة للآخرين : فالمرؤوسون ينظرون إليك مثالا للسلوك السوي ولسلوكك وأخلاقك تأثيراًيفوق تأثير الإرشادات التي تقدمهاأوالنظام الذي تفرضه
- طور قدرات مرؤوسيك : إن كنت واثقا من نفسك فعليك أن تثق بقدرات الآخرين أجب عن الطلبات ناصحا لكن لاتخض في التفاصيل بل اتركها لهم.
- كن حاضرا : تأكدمن معرفة العاملين لواجباتهم وإن استفسروا منك عن الدوافع وراء بعض الواجبات فأجبهم أفسح لهم المجال ليتقدموا ويحلوا مشكلاتهم بأنفسهم ولكن لاتبرم أمرا من غير استشارتهم .

- اعتن بسعادة الموظفين: تعرف على مشكلاتهم من أن أحدا لايعوق حصولهم على المساعدة المناسبة والأجور، وأحترام شؤونهم الخاصة
- أعلم كل موظف بمايجري : قم بإجراء يمنع الشائعات فإنها مدعاة للغضب وخيبة الأمل.
- لتكن أهدافك أهداف يمكن تحقيقها: فالأهداف غير الواقعية تؤدي إلى الإحباط وتجرح المشاعر، والأهداف المعقولة توصلك إلى النجاح سريعا
- اتخذ القرارات الصحيحة المحددة: وإن شعرت بأنك أقدمت على قرار خاطئ فكن شجاعا وغيره قبل فوات الأوان.
- أفهم عملك : كن في المقدمة لتطلع على مايجري من أحداث تخص عملك تحدث إلى الناس الذين حضروا مؤتمرات، أومن يبدون خبرة في مجالات تجهلها ولا تألفها لاتتطلع إلى الماضي.
- هيء ظروف العمل الجماعي : حاول أن تكلف العاملين كافة المشاريع، حين يكون ذلك ممكنا ودرب المستخدمين ليدركوا مايقدمون واطمئن إلى أن كل واحد فيهم يؤدي ماعليه، واحتفل بكل إنجاز.

أما النظام العام فيُقصد به طريقة تنظيم الجيش وتقسيمه بطريقة صحيحة إلى وحدات، وطريقة توزيع الرتب العسكرية بين الضباط، وصيانة طرق الإمدادات التي تصل إلى الجيش، والتحكم في معدل الإنفاق العسكري.

ويشمل النظام العام توجيه وتنظيم الجيش وإعطاء الرتب المناسبة للضباط، فضلا عن التحكم في النفقات العسكرية، إن هذه العوامل لابد أن تكون معروفة لكل قائد عسكري، فمن يجيدها ينتصر، ولكي تتنبأ بنتيجة حرب ما فإن هذه العوامل والخصائص يمكن تحليلها من خلال هذه المقارنات السبعة:

- أي قيادة عليا تحتفظ بأعظم نفوذ أخلاقي ومعنوي؟ الناجية.
- من القائد الأكثر كفاءة؟ الناجية.
- أي من الجانبين تتوافر له ظروف الأرض والمناخ المواتية؟ الناجية.

- في أي الجانبين يتم تنفيذ القرارات على الوجه الأكمل؟ الناجية.

- أي الجيشين يتفوق في السلاح والعتاد؟ الناجية.

- في أي جانب يوجد الضباط والجنود المدربون أفضل التدريب؟ الناجية.

- أي الجانبين أكثر صرامة وحيادية في تقدير المكافآت والعقاب؟ الناجية.

هذه العوامل يجب أن تكون معروفة جيداً لأي قائد، فمن يلم بها تماماً سيكون المنتصر، وغير ذلك سيفشل في تحقيق النصر.

لذا، في كل مشاوراتك وفي طريقة تفكيرك- للوقوف على أحوال أرض المعركة، اجعل هذه العناصر أساساً للمقارنة، على النحوالتالي:

١- أي مِن الحاكمين أكثر تمسكاً بعناصر القانون الأخلاقي؟

٢- أي مِن القائدين أكثر قدرة وتدبيرا؟

٣- لصالح أي الطرفين تميل عناصر السماء والأرض ؟

٤- أي الطرفين يتبع النظام العام بحذافيره؟

٥- أي الجيشين أقوى (معنويا وبدنيا وعتادا)؟

٦- ضباط أي الجيشين أكثر تدريبا واستعدادا؟

٧- أي الجيشين أكثر التزاماً بمبدأ الثواب والعقاب؟

ومن خلال نتائج هذه الأسئلة السبعة أستطيع معرفة من سيصيب النصر ومن سينهزم.

القائد الذي يصغي لمشورتي ويعمل بها - سيقهر وينتصر، ومن هم مثله يجب أن يستمروا في مواقع القيادة. القائد الذي لا يصغى لمشورتي فلا يعمل بها - سيعاني الهزيمة، ومن هم مثله يجب أن يُصرفوا من الخدمة.

بينما تمضي لتستفيد من مكاسب اتباعك لمشورتي، احرص على الاستعانة بأي ظروف مواتية وعناصر مساعدة، تقع خارج نطاق المألوف والمعتاد.

بناء على مدى توافق الظروف، على المرء أن يعدل خططه.

جميع الأمور المتعلقة بالحرب تعتمد على الخداع (الحرب خُدّعة).

لذا فعندما نستطيع الهجوم - يجب أن نبدوكما لوكنا عاجزين عنه، وعندما نناور ونتحرك بالقوات - يجب أن نبدوَ خاملين، وعندما نقترب - يجب أن نجعل العدويظن أننا بعيدون، وعندما نكون بعيدين - يجب أن نجعل العدويظن أننا قريبون.

ابق لديك طُعماً تغري به العدو. تظاهر بانتشار الفوضى بين صفوفك - ثم اسحق العدو.

إذا كان العدو متحصناً من جميع الجهات - استعد لملاقاته. إذا كان العدوفي حالة أفضل منك - تجنبه.

إذا كان غريمك سريع الغضب - احرص على مضايقته وإثارة غيظه. تظاهر بالضعف حتى يتمادى في غروره.

إذا كان العدو يستريح، لا تعطه الفرصة لذلك. إذا كنت أنت تستريح - احرص على أن تنهك قوى عدوك أثناء راحتك.

اهجم بينما هوغير مستعد، اظهر في المكان الذي لا يتوقعك فيه.

هذه الوسائل العسكرية تؤدي إلى النصر، فلا تفشيها قبل أوانها.

القائد الذي يفوز في المعركة يقوم بعمل الكثير من الحسابات في مركز القيادة قبل بدء القتال. القائد الذي يخسر المعركة يقوم بعمل القليل من الحسابات سلفاً. لذا فالكثير من الحسابات تؤدي إلى النصر، والقليل منها يؤدي إلى الهزيمة. بناء على درجة اهتمامك لهذه النقطة أستطيع أن أتنبأ من سيفوز ومن سينهزم.

ويمكن التنبؤ بنتيجة أي معركة من خلال تحليل والإجابة عن هذه الأسئلة السبعة :

١- أي قيادة عليا تحتفظ بأعظم نفوذ أخلاقي ومعنوي ؟

٢- من هوالقائدة الأكثر كفاءة ؟

٣- أي الجانبين تتوافر له ظروف الأرض والمناخ المواتية ؟

٤- في أي الجانبين يتم تنفيذ القرارات على الوجه الأكمل ؟

٥- أي الجيشين يتفوق في السلاح والعتاد ؟

٦- في أي جانب يوجد الضباط والجنود المدربون أفضل تدريب ؟

٧- أي الجانبين أكثر صرامة وحيادية في تقدير المكافآت والعقاب؟

الفصل الثاني

شن الحرب

في حالة إدارة جيش ضخم يكون الهدف الرئيس هو النصر السريع، فإذا ما تأخرت الحرب ستتلف أسلحة الجند وتصدأ، وستخمد حماسة الرجال، وإن هاجم الجيش المدن فسوف تنهك قواه، كذلك إن بدأ في شن حملات عسكرية طويلة وممتدة فإن ثروات الدولة ستنفد دون جدوى .

إذا صدأت أسلحتك، وانطفأت حماستك، واضمحلت قوتك، ونفدت ثروتك، سينتهز الحكام في البلاد المجاورة هذه الفرصة، ومهما تكن درجة الحكمة فلن يستطيع أحد تفادي العواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك، وكما سمعنا عن الهجوم المتهور، لم نسمع عن عملية عسكرية ذات خطة ماهرة استمرت طويلا، فلم توجد أبدا حالة أفادت فيها الحرب الطويلة البلد أو الوطن.

إذا قررنا شن حرب فلا بد أن تكون هذه الحرب خاطفة حاسمة، فإذا تأخر النصر يفقد الجندي روح القتال وينهار معنوياً وتخور عزائمه، وإذا حشد الجيش لمدة طويلة لا تكفي موارد الدولة لذلك، كما أن الجند يستسيغون النصر بسرعة ويمقتون العمليات التي تطول.

في مجريات الحرب، حيث هناك في الميدان ألف مركبة حربية خفيفة وسريعة (للهجوم)، ومثلها من المركبات الثقيلة (للدفاع)، ومائة ألف جندي مشاة مدرع، يحملون إمدادات تكفيهم للسير ألف لِي (لي هي وحدة قياس مسافة صينية تعادل الميل تقريباً)، وقتها ستبلغ النفقات العامة - في الداخل وعلى الجبهة - المتضمنة ترفيه ضيوف الدولة والنثريات مثل نفقات الغراء والدهان، ونفقات صيانة العربات الحربية والدروع، تبلغ هذه النفقات ما يعادل ألف أونصة فضة في اليوم، (في زمنه هذا) وهذه هي تكلفة تجيش جيشاً قوامه ١٠٠ ألف رجل.

عندما تلتحم في قتال فعلي، فتتأخر بشائر النصر، فستبدأ أسلحة الجنود تفقد دقتها، وستنطفئ حماسة أولئك الجنود. إذا حاصرت مدينة، فسترهق قواك.

مرة أخرى، إذا طال أمد حملتك العسكرية، فموارد الدولة لن تعادل نزيف النفقات العسكرية.

الآن، وبعدما فقدت أسلحتك دقتها، وانهارت الروح المعنوية العامة، وخارت قواك واستنفدت مواردك، فسيبدأ بقية الحكام المجاورين لك في التطلع لانتهاز فرصة تهورك وانهيارك. وقتها لن يستطيع أحد - مهما كان حكيماً - أن يحول دون حدوث العواقب الوخيمة التي ستحدث نتيجة لذلك.

هكذا، ورغم أننا عرفنا الكثير عن حماقة التسرع لخوض الحرب، فالمهارة الحربية لم تقترن أبداً بأي فترات تأخر طويلة. (القائد غير الذكي لن ينتصر أبداً باستخدام القوة الغاشمة في سرعة تحرك كبيرة) . نعم، التحرك بسرعة كبيرة قد يكون من الغباء، لكنه رغم ذلك يقلل النفقات اليومية يقلل من تدهور معنويات الجيش واستهلاك الطاقات. قد يكون التأني والتمهل من الحكمة، لكنه يجلب معه الهدوء والسكون والخمول والكسل. إذا كان النصر يمكن تحقيقه، فالتسرع الأحمق أفضل من التأني الماهر. إذا كانت سرعة التحرك تُعتبر أحياناً عملاً طائشاً (لا حكمة تُنتظر منه) فالتباطؤ يعتبر عملا أحمق (سخيفا) بسبب ما يسببه الأخير من استنزاف لموارد الأمة.

لا توجد سابقة تاريخية تذكر أن بلداً ما قد استفاد من دخوله حروباً طويلة.

إن المخضرم العالِم بويلات إطالة الحروب - هو فقط القادر على فهم أهمية وجوب إنهاء الحروب بسرعة.

الجندي الماهر لن ينتظر ليحصل على راتبه مرة أخرى، ولن يتم تزويده بالإمدادات أكثر من مرتين (أي عليه أن يسرع فيدخل في قلب المعركة دون تباطؤ أو انتظار - فيسبق بذلك خصمه).

اجلب العتاد الحربي معك من خطوطك الخلفية، وأما المشرب والمطعم (المؤنة) فمن أرض العدو. هكذا سيكون لدى الجيش ما يكفيه من طعام وشراب.

نفاد الخزانة العامة للدولة يتسبب في إمداد الجيش عن طريق التبرعات من مصادر بعيدة، ذلك يتسبب في إفقار موارد الشعب.

من ناحية أخرى، اقتراب الجيش (تلاحمه مع العدو) يتسبب في ارتفاع الأسعار الداخلية، ما يؤدي لاستنزاف ثروات الشعب.

عند نفاد ثروات الشعب، سيعانون بشدة من الضرائب المفروضة عليهم.

مع ضياع الثروات وخوار القوى، تصبح بيوت الشعب شبه خاوية، وسيتبخر ثلاثة أعشار دخلهم، بينما ستبلغ النفقات الحكومية لإصلاح العربات الحربية والدروع والخوذات والأقواس والأسهم والرماح والتروس واستبدال الجياد المنهكة والثيران المحملة، ستبتلع هذه النفقات أربعة أعشار الدخل العام.

هكذا فالقائد الحكيم سيعتمد على العدو كمصدر للطعام والمؤنة. عربة واحدة محملة بمئونة العدو تعادل عشرين عربة من خطوط الإمداد (لأن وصول عربة واحدة للجبهة يستهلك محتويات ٢٠ عربة) وبالمثل فإن ما وزنه بيكل (ما يعادل ٦٥,٥ كيلوجراماً) من طعام العدو يعادل عشرين من مخازن الدولة.

الآن ولقتال العدو لا بد من إثارة غضب الجنود، ولا بد من توضيح مزايا الانتصار على العدو، فلا بد وأن يحصلوا على مكافآتهم (نصيبهم من غنائم الحرب).

لذا عند الاستيلاء على عشر عربات حربية أو أكثر، يجب مكافأة أول من استولى على العربة الأولى. يجب استبدال أعلام العدو المشرعة على تلك العربات بأعلامنا، ويجب خلط تلك العربات المستولى عليها بعرباتنا واستعمالها في القتال. يجب معاملة الأسرى من الجنود بطيبة والإبقاء عليهم.

هذا ما يُطلق عليه استخدام غنائم العدو المقهور لزيادة قوتنا الذاتية.

إذا ليكن همك الأول والأكبر في الحرب هو تحقيق النصر، لا إطالة أمد الحملات العسكرية.

هكذا يمكن القول أن قائد الجيوش هو المتحكم في أقدار الشعب، فهو الرجل الذي يُعتمد عليه ما إذا كانت الأمة ستعيش في سلام أم في خطر.

و ينبغي التنبه لعامل السرعة ، فهو أحد العوامل الرئيسية للفوز .. و نحن لم نسمع عن عملية عسكرية ذات خطة ماهرة استمرت طويلا .

فالتباطؤ بالهجوم بلا مبرر ، يؤدي إلى تلف الأسلحة ، وإنخماد حماسة الجيش ، واستنزاف ثروات الدولة بلا مبرر ، مما يؤدي إلى نتائج عكسية بعد ذلك سواء في الهجوم على العدو ، أو استغلال العدو نفسه أو أعداء آخرين هذه الفرصة - الذهبية - للهجوم عليك بعد أن أضعفت نفسك بنفسك .

و هناك نقطة التموين والمؤن ، ولابد من استغلال كافة الوسائل المتاحة لتحصيل المؤن من العدو ، عن طريق الغنائم وغير ذلك ، فنقل الإمدادات من البلد يكلف الكثير من الجهد والمال والوقت ، وشراء المؤن من الأماكن القريبة من ساحة المعركة خسارة هائلة فالأسعار ترتفع في تلك المناطق .

ويجب التشديد على مسألة الغنائم فالحصول على جوال واحد من الحبوب في ساحة القتال يساوي الحصول على عشرين جوالا منقولة من الوطن الأم ، والحصول على جوال واحد من العلف في منطقة القتال يساوي الحصول على عشرين جوالا من مخزون الوطن الأم .

ويجب على قائد الجيش مكافأة الجنود الذين يستولون على معدات العدو من أسلحة وعربات وغير ذلك ، فهذا يلهب حماستهم ويشجعهم على القتال وعلى الحصول على الغنائم .

الفصل الثالث

الهجوم بالخداع

تعتمد جميع الحروب على الخُدعة، حين تكون قادرا على الهجوم فلا بد أن تتظاهر بعدم القدرة على ذلك، وحين تهم بالتعبئة فلا بد أن تبدوَ غير مكترث، وحين تود الاقتراب لابد أن تشعر الآخرين بأنك بعيد والعكس صحيح.

قدم طعما لاستدراج العدو، وعند طمعه في مكسب صغير اضربه الضربة القاضية قبل أن يتوازن من جديد، إذا كان مدججا بالسلاح رغم ذلك فضاعف من احتياطاتك، إن كان قويا حاول المراوغة وتجنبه، وإن كان ثائرا حاول تثبيط همته، وإذا تظاهر بالخنوع والذل ازرع فيه الغطرسة والتكبر، إذا ما أخذت قواته قسطا من الراحة يجب أن ترهقه بالهجمات المتلاحقة، إذا ما توحدت شتتها، باغت العدو في حالة ارتباكه، أي هاجم في الوقت غير المتوقع، هذه هي مفاتيح النصر لأي استراتيجي ومع ذلك فإنها لا تتبلور إلا في الميدان.

وأخذ البلاد سالمة هو أفضل من تدميرها، وأسْر اللواء المعادي، هو أفضل من تدميره، كذلك الكتيبة والسرية والحضيرة، لذلك فإن «إحراز مئة انتصار في مئة معركة ليس هو الأفضل بل إن إخضاع العدو من دون قتال هو أفضل ما يكون»، لذلك من الأفضل في الحرب ضرب إستراتيجية العدو، ثم ضرب تحالفاته، ثم مهاجمة جيوشه، وتجنب مهاجمة المدن المحصنة إلا عند الضرورة.

وهكذا فإن القتال والانتصار في جميع المعارك ليس هو قمة المهارة، التفوق الأعظم هو كسر مقاومة العدو دون أي قتال.

إن جميع أعمال الحرب تقوم على الخداع، لذلك فعندما تكون قادرا عليك أن تدعي العجز، وعندما تكون نشيطا عليك أن تدعي الخمول، وعندما تكون قريبا تظاهر بأنك بعيد بعيد، وعندما تكون بعيدا تظاهر بأنك قريب. قدم لعدوك إغراء لخداعه، تظاهر بالفوضى واضربه، عندما يركز، استعد ضده، عندما يكون قويا تحاشاه، عليك أن تستفز قائده الجنرال وأن تربكه، تظاهر بالشعور بالنقص وشجع غطرسته، عليك أن تواصل الضغط عليه وأن تستهلكه، وعندما تراه موحدا فرق بين صفوفه، هاجم عندما تراه غير مستعد، لا تطلق عندما لا ينتظرك العدو.

وحسب الخطط في إدارة الحرب فإننا عندما نكون عشرة أضعاف العدو، نحاصره. وعندما نكون خمسة أضعاف نهاجمه، وعندما نكون ضعفيه نقسمه، وعندما نكون متعادلين يمكن الشروع في القتال، وعندما نكون أقل منه عددًا نقوم بقتال تراجعي، وعندما نكون أضعف منه عديداً وعتاداً نتجنّبه، وهكذا فالجيش الصغير إذاً يقاوم العدو بتجلد.

ويرى «سون أتزو» أيضا، أن مَن يعرف عدوه ويعرف نفسه يقود مئة معركة من دون خطر. ومَن لا يعرف عدوه ولكنه يعرف نفسه فقد يحرز نصراً ويلقى هزيمة. ومَن لا يعرف عدوه ولا يعرف نفسه يكون في دائرة الخطر في كل معركة.

أعلى درجات البراعة العسكرية هي إعاقة خطط العدو بالهجوم المضاد، يليها منع قوات العدو من الالتحام ببعضها البعض (عزلها وقطع خطوط الاتصال والإمدادات) يليها الهجوم على جيش العدو في الميدان، وأما أسوأ السياسات فهو حصار المدن ذات الأسوار العالية.

القاعدة هي ألا تحاصر المدن ذات الأسوار إذا كان يمكن تجنب ذلك. إن تجهيز الأبراج قابلة التحريك، والحصون النقالة، والعديد من التطبيقات الحربية اللازمة، سيستغرق ثلاثة أشهر كاملة، وإهالة التراب أمام تلك الأسوار سيستغرق ثلاثة أشهر إضافية.

القائد - غير القادر على التحكم في ضجره من مرور الوقت دون أي مردود - سيأمر رجاله بالهجوم مثل قطعان النمل كثيرة العدد، قبل حلول الوقت المناسب لذلك، والنتيجة تعرض ثلث جيشه للذبح، بينما تقف المدينة عصية. هذه بعض الآثار الكارثية للحصار.

إذن فالقائد البارع يقهر قوات العدو دون أي قتال، فهو سيفتح مدن العدو دون حصارها، وسيُسقط نظامها الحاكم دون عمليات عسكرية طويلة في الميدان (يُسقط الحكومة دون المساس بالمواطنين).

مع بقاء قواته سالمة، ما يشكك بقوة في نفوذ حكم العدو، وهكذا - دون

فقدان جندي واحد- يكون الانتصار بلغ حد الكمال. هذه هي طريقة الهجوم بالخداع.

القاعدة في الحرب أنه إذا كانت نسبة قواتنا إلى العدو ١٠ إلى واحد، فحاصر العدو، وإذا كانت خمسة إلى واحد فهاجمه فوراً، وإذا كانت الضعف فيجب تقسيم جيشنا إلى نصفين (النصف الأول قد يستخدم في القتال، بينما الثاني في الخداع، أو نصف يهاجم من المقدمة بينما الثاني يهاجم المؤخرة).

إذا كانت النسبة متكافئة لحا المجا الخ فيمكن أن نقاتل لححينها سيفوز القائد الأقدر) وإذا كان الفرق ضئيلاً في غير صالحنا، فيمكننا تجنب العدو، وإذا كان الفرق كبيراً في أكثر من وجه مقارنة، فيجب أن نفر من العدو.

هكذا، رغم أن الفرقة قليلة العدد يمكنها أن تقاتل بضراوة، لكنها في النهاية سيتم أسرها من قبل القوات المعادية الأكثر عدداً.

الآن وبينما القائد هو حصن الدولة، فإذا كان هذا الحصن كاملاً من جميع الجهات، فالدولة ستكون قوية، أما إذا كان هذا الحصن به عيوب، فالدولة ستكون ضعيفة.

هناك طرق ثلاث بها يجلب الحاكم المحن على جيشه:

١- إصدار الأوامر للجيش بالتحرك أو التقهقر، جاهلاً بحقيقة أن الجيش غير قادر على إطاعة الأمر. هذا ما يسمى إعاقة الجيش. (استخدام كلمة حاكم يقصد بها صاحب الأمر في الخطوط الخلفية، فإدارة الجيوش يجب أن تتم من على بعد، وليس من على خط المواجهة).

٢- قيادة الجيش بذات الطريقة التي يحكم بها الدولة، جاهلاً بالظروف التي يواجهها الجيش. ذلك يسبب الضيق والقلق في نفوس الجنود.

٣- تعيين الضباط في جيشه دون تفرقة (لا يضع الرجل المناسب في المكان المناسب) بسبب جهله بالأعراف العسكرية المتعلقة بالتكيف حسب الظروف المحيطة. ذلك يهز ثقة الجنود في الحاكم.

لأنه عندما يصبح أفراد الجيش قلقين وغير واثقين في الحاكم، فالمشاكل حتماً ستأتي من بقية زعماء العشائر. ذلك ببساطة هو إلحاق الفوضى بالجيش، ورمي النصر بعيداً.

هكذا نعرف أن هناك خمسة أساسيات للنصر:

١- من ينتصر يعرف جيداً متى يقاتل ومتى لا يقاتل.

٢- من ينتصر يعرف كيف يتعامل مع مختلف أشكال القوة: كثيرها وقليلها.

٣- من ينتصر هو من تحرك جيشه روح معنوية واحدة على جميع مستويات القادة والجند.

٤- من ينتصر هو من جهز نفسه جيداً، ثم انتظر ليأخذ عدوه على غفلة منه.

٥- من ينتصر هو قائد لديه صلاحيات كاملة ولا يتداخل الحاكم معه في حيثيات عمله. (الحاكم يصدر أوامر عامة، بينما القائد هو من ينفذ تلك الأوامر بالطرق التي تتراءى له).

إذن إذا كنت تعرف العدو وتعرف نفسك - فلا حاجة بك للخوف من نتائج مائة معركة. إذا عرفت نفسك لا العدو، فكل نصر تحرزه سيقابله هزيمة تلقاها. إذا كنت لا تعرف نفسك أو العدو ـــ ستتهزم في كل معركة. (علمك بعدوك يعرفك كيف تدافع، علمك بنفسك يعرفك كيف تهاجم ـــ الهجوم هو سر الدفاع، والدفاع هو التخطيط للهجوم).

و يعد استدارج العدو للقتال في ساحة الميدان أفضل بكثير من مقاتلته في المدن والحصون وذلك لأن الهجوم على المدن مخاطرة كبيرة فقد يؤدي لحصول العديد من الخسائر في صفوفك سواء كانت خسائر بشرية أو مادية.

و هناك أشياء قد يفعلها القائد وتجلب لجيشه الويلات وهي كالتالي :

- أن يأمر الجيش بالتقدم بينما الجيش غير مستعد ومتمكن لذلك، أو يأمره بالتقهقر والجيش غير مستعد لذلك أيضا - نقطة مهمة جدا-.

- التدخل في شؤون الجيش دون الدراية بشؤونه الداخلية.

- التدخل في شؤون الحرب دون الدراية بالشؤون العسكرية.

و هناك خمس نقاط أخرى لابد منها للنصر وهي :

- معرفة التوقيت الصحيح (متى يحارب ومتى لا يحارب) .

- معرفة الخصم (قوي أم ضعيف) وكيفية مواجهته.

- اتحاد القوات ضباطا وجنودا في الهدف.

- التجهيز الجيد مع ترقب الفرص وانتهازها لكسب الحرب.

- عدم التدخل في شؤون القادة الأكفاء.

و أخيرا، اعرف عدوك واعرف نفسك تستطيع أن تخوض مائة معركة دون المجازفة بهزيمة واحدة، وحين تاكون جاهلا بالعدو وعارفا بنفسك فإن فرص النصر والهزيمة تكون متساوية، أما إن كنت جاهلا بعدوك وجاهلا بنفسك فمن المؤكد أنك ستُهزم في كل المعارك هزيمة نكراء.

الفصل الرابع

المناورات التكتيكية

اقتلاعك لشجرة ضعيفة لا يعني قوتك، وسماعك لقصف الرعد لا يعني أنك حاد السمع، ورؤيتك الشمس لا تعني أنك حاد النظر.

فالحرب لُعبة فنية، وعلى من يخوضها أن يعرف كيف - يلعبها - بمهارة وحرفنة، فالجيش المنتصر لا يدخل الحرب مع العدو إلا عندما يكون النصر مؤكدا.

فمهارة الدفاع تكمن في التخفي في المواقع الأكثر سرية وعزلة تحت الأرض، ومهارة الهجوم تكمن في السرعة الشديدة والمفاجأة.

وهكذا تكون عناصر فن الحرب هي:

- تقدير المسافات: حيث يتم قياس المسافات الأرضية..
- تقديرات الكمية: حيث تحسب القياسات..
- حسابات الأرقام: حيث تحسب الكميات..
- مقارنات القوة: حيث تكون المقارنة في قوة الأعداد المتحاربة..
- فرص النصر: وتأتي بالمقارنة فيكون النصر حليف الأقوَى

و يجب تحركات الجيوش المتحاربة ذهاباً وإياباً جنباً إلى جنب من أجل اكتساب معلومات عن الطرف الآخر.

وابتعد المقاتلون القدامى الماهرون بأنفسهم عن قابلية تعرضهم للهزيمة، وهم ينتظرون فلم يبادروا بالهجوم حتى تلوح الفرصة لهزيمة العدو.

مسؤولية حماية أنفسنا من تلقي الهزيمة تقع على عاتقنا نحن، لكن فرصة هزيمة العدو يوفرها لنا العدو نفسه (عبر خطأ يقع فيه).

المقاتل الجيد يُحصِّن نفسه ضد الهزيمة (عبر إخفاء تحركاته وأثره، واتخاذ إجراءات أمنية احترازية دائمة ومشددة) لكنه لا يستطيع تأكيد إمكانية هزيمة العدو (العدو هو من يهزم نفسه).

قد تعرف السبيل إلى قهر عدوك، دون أن تكون قادرا بالضرورة على عمل ذلك.

التحصن ضد الهزيمة يستلزم اتباع التكتيكات الدفاعية، وأما القدرة على هزيمة العدو فتعني انتهاز الفرصة. (من لا يستطيع قهر عدوه عليه اتخاذ الوضع الدفاعي).

اتخاذك الوضع الدفاعي يشير إلى قوة غير كافية، بينما الهجوم يستلزم توفر القوة الزائدة.

القائد العسكري الماهر في الدفاع يختبئ في سابع أرض (النص الصيني يذكر تاسع أرض - وهي كناية عن أكثر الأماكن سرية وكتماناً)، القائد العسكري الماهر في الهجوم ينقض كالبرق من أعالي السماء (السماء التاسعة - كناية عن السرعة الكبيرة، والقدوم من أماكن غير متوقعة، بما لا يدع أي فرصة للعدو للاستعداد). من الناحية الأولى، فنحن بأيدينا حماية أنفسنا، ومن الناحية الأخرى، فبإمكاننا إحراز النصر الكامل.

رؤية النصر حين يستطيع الرجل العادي رؤيته قادماً ليست هي قمة التميز. (بل أن ترى النبتة قبل أن تنبت، وأن تتوقع ما سيحدث قبل حدوثه).

كما أن قمة التميز ليست هي أن تحارب وتقهر ثم تقول لك الدولة كلها "حسناً فعلت - سلمت يداك". (قمة التميز هي التخطيط بسرية كاملة، وأن تتحرك بحذر شديد، وأن تحبط نوايا العدو وتفسد مخططاته، وأن تنتصر عليه دون إراقة قطرة دم واحدة).

أن ترفع شعرة رفيعة من فراء أرنب بري في موسم الخريف لا يعني القوة العظيمة (مثل شائع في اللغة الصينية ويعني أدق شيء)، رؤية الشمس والقمر ليست علامة البصر الحاد، سماع الرعد ليست علامة السمع الحاد.

ما أطلق عليه القدامى المقاتل الماهر هو من لا ينتصر وحسب، بل يبرع في الانتصار بكل سهولة ويُسر. (من يقصُر نظره على ما هو واضح جلي - ينتصر بصعوبة، من يتخطى ببصره حدود المعتاد - ينتصر بكل سهولة).

وبالتالي تجلب انتصاراته له السمعة الطيبة نتيجة حكمته الواسعة، وتجلب له التقدير على شجاعته.

إنه ينتصر في معاركه بعدم ارتكابه لأي خطأ. عدم الوقوع في أي خطأ هو ما يؤسس لتأكيد النصر، وهو ما يعني هزيمة عدو قد انهزم بالفعل.

المقاتل الماهر يقف في مكان يستحيل هزيمته فيه، وهو لا يضيع الفرصة السانحة لهزيمة العدو.

في الحرب، القائد الاستراتيجي المنتصر هو من يذهب للقتال بعدما ضمن النصر، حيث هو المُقدَّر له أن ينتصر في أولى معاركه وبعدها ينتظر النصر المظفر. (في الحرب، ابدأ بوضع الخطط التي تضمن النصر، ثم قد جيشك إلى المعركة؛ إذا لم تبدأ بالخداع واعتمدت عوضاً عنه على القوة الغاشمة فقط، فالنصر بذلك يصبح غير مؤكد).

القائد شديد البراعة يراعي القانون الأخلاقي، ويلتزم بشدة بالنظام العام، وهكذا يصبح بإمكانه التحكم في النصر.

من وجهة النظر العسكرية، عناصر فن الحرب هي:

قياس المسافات ومسح الأرض (لتقدير قوة العدو)

تقدير الكميات (حساب حالة العدو)

حسابات الأرقام (وضع قيمة رقمية لقوة العدو)

المقارنة (المعرفة العلمية لبيان قوتنا مقارنة بقوة العدو)

احتمالات النصر (نتيجة المقارنة)

الجيش المنتصر مقارنة بالمنهزم هو كثقل وضع على كفة ميزان مقابل حبة صغيرة.

اندفاع القوات المنتصرة يعادل تدفق المياه المتفجرة من فجوة عالية إلى الأعماق السحيقة.

الفصل الخامس

القـــــوة والـزخم

إمرة أشخاص عديدين هي كإمرة أشخاص قليلين، إنها مسألة تنظيم، كذلك مقاتلة أشخاص عديدين هي كمقاتلة أشخاص قليلين، إنها مسألة إشارات.

إن مبادئ إدارة قوة كبيرة كمبادئ إدارة قوة قليلة العدد، فهي فقط مسألة تنظيم، وكما توجه جيشا كبيرا للقتال تستطيع توجيه جيش صغير، فهي مسألة إصدار أوامر وإشارات، ويرجع استيعاب الجيش كل عمليات العدو للنجاح في العمليات التي تقوم بها القوت الخاصة وبقية قطاعات الجيش، وعند اندفاع القوات بأعداد كبيرة فإنها تضرب العدو كما يضرب الحجر الأبيض فهو خير مثال على ضرب القوي الضعيف.

ويجب أن يستعمل القائد في المعركة القوات الأساسية لتناوش وتقاتل العدو والقوات الخاصة لتحقيق النصر، إن استخدام القائد الماهر للقوات الخاصة هو استخدام موارد لا تنضب كموارد الماء والأرض.

إن تحمل الجيش هجوم العدو من دون أن يهزم، يعتمد على عمليات القوة المباغتة والقوة العادية، فالمخطط يبدأ الهجوم بالقوة العادية ويحقّق النصر بالقوة المباغتة. ومن يحسن استخدام القوة المباغتة لا تحدّه حدود كالسماء والأرض. ومع أن قوى القتال لا تشمل سوى القوة العادية والقوة المباغتة، إلا أن تركيباتها لا تحد ولا تحصى، وهي مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، ويوجِد بعضها البعض الى ما لا نهاية.

وهكذا فإن قوة المقاتلين الأكفياء في المعركة يمكن مقارنتها بقوة الحصاة المستديرة التي تهوي متدحرجة على منحدرات جبل شاهق وهذا هو الزخم.

(إذ أصل الفعل «زخم» دفع شديدا)

طريقة تنظيم وإدارة قوة كبيرة هي ذاتها طريقة تنظيم وإدارة فرقة صغيرة مكونة من بضعة رجال: إنها مسألة تقسيم العدد الكبير إلى مجموعات صغيرة. (تقسيم قوات الجيش إلى فرق وسرايا وفصائل ومجموعات ووحدات، مع تعيين قائد لكل وحدة).

القتال وتحت إمرتك جيش كبير لا يختلف عن القتال مع وحدة صغيرة، فهي مسألة وضع أسس استعمال العلامات والإشارات والرموز في التواصل.

للتأكد من أن جيشك يستطيع تحمل وطأة هجوم العدو ويبقى متماسكاً غير مهزوز - يتحقق ذلك من خلال القيام بمزيج من المناورات المباشرة ("شينج" - الإيجابية) والمناورات غير المباشرة ("تشي" - السلبية)، من أجل إرباك العدو. (هدف المناورات العسكرية وقت الحرب هو تضليل العدو فلا يعرف نوايانا الحقيقية).

تأثير جيشك يجب أن يكون مثل تأثير الحجر الصلب المندفع بقوة جبارة ضد بيضة - يتحقق ذلك عبر تعلم ومعرفة نقاط الضعف والقوة (في كلا الطرفين" أنت والعدو).

في جميع أوجه القتال، يمكن انتهاج الطريقة المباشرة من أجل الانضمام إلى المعارك، أما الطرق غير المباشرة فيتم اللجوء إليها من أجل تأمين النصر.

معين التكيتيكات غير المباشرة -في حالة تم تطبيقها بكفاءة - لا ينضب أبداً، تماماً مثل السماء والأرض، لا نهاية لها، مثل جريان الأنهار وفيضان العيون، مثل الشمس والقمر اللذان ينتهيان فقط ليبدآن من جديد، مثل الفصول الأربعة، التي تمر فقط لتعود من جديد.

ليس هناك أكثر من خمس علامات موسيقية، ورغم ذلك فإن مزج هذه الخمسة ساعد على تأليف ما لا يمكن عده من القطع الموسيقية والألحان، وبأكثر مما يمكن سماعه على الإطلاق.

ليس هناك أكثر من خمسة ألوان أساسية (أزرق، أصفر، أحمر، أبيض، أسود) ورغم ذلك فإن مزج هذه الألوان معاً يخرج لنا تدرجات لونية بأكثر مما يمكن رؤيته.

ليس هناك أكثر من خمس نكهات أساسية: حامض، حريف، مالح، حلو، مُر، ورغم ذلك فإن مزجها معاً يخرج لنا نكهات بأكثر مما يمكننا تذوقه.

في ساحة المعركة، ليس هناك أكثر من طريقتين للهجوم: مباشرة وغير مباشرة، ورغم ذلك فإن مزج هاتين الطريقتين ينتج عنه سلسلة لا نهائية من المناورات الممكنة.

يؤدي استعمال الطريقة المباشرة للوصول للطريقة غير المباشرة، ويؤدي استعمال الطريقة غير المباشرة للوصول للطريقة المباشرة، تماماً مثل التحرك في دائرة متصلة، حيث لا تصل أبداً إلى نهاية. وبالتالي، فلا يستطيع أحد أن يصل لنهاية الاحتمالات الناتجة عن مزج هاتين الطريقتين معاً.

يشبه هجوم الجنود السيل الجارف الذي يحمل معه في مجراه حتى الصخور الرواسي.

تشبه دقة توقيت اتخاذ القرار الصائب من القائد تلك الدقة التي ينتهجها الصقر عندما يهجم كالبرق على فريسته، في دقة فائقة، تمكنه من الإمساك بها وتدميرها. (هذه الدقة ناتجة من حسن قياس وتقدير المسافات وخط سير الفريسة وتوقع رد فعلها للهجوم عليها).

لذا فالمقاتل الباسل سيكون رهيباً في هجومه، متأنيا عند اتخاذه لقراراته.

يمكن تشبيه الطاقة (القوة) بشد القوس من أجل إطلاق السهم، وتشبيه القرار بلحظة ترك القوس لينطلق في اتجاهه الذي حددته له.

وسط اضطراب وجلبة المعركة، قد يكون هناك فوضى ظاهرية، لكنها ليست فوضى على الإطلاق. وسط حالات الارتباك والعشوائية، قد تكون قواتك بلا مقدمة أو مؤخرة، لكنها رغم ذلك محصنة ضد الهزيمة. (بفضل حسن التنظيم والتدريب والتفكير).

التظاهر بحدوث حالة من الفوضى (لإغراء العدو بالهجوم) يتطلب مقدماً كشرط أساسي حالة انضباط تام (للخروج بسرعة من حالة الفوضى الزائفة إلى حالة الانضباط من أجل الانقضاض السريع على العدو المهاجم)، والتظاهر

بالجبْن يستلزم الشجاعة، والتظاهر بالضعف)لإعطاء العدو الشعور بالغلبة) يستلزم القوة والمقدرة.

إخفاء الانضباط تحت عباءة الفوضى هو ببساطة مسألة حسن تقسيم لوحدات الجيش، وإخفاء الشجاعة تحت ستار من الجُبن يتطلب قدراً كبيراً من الطاقة الكامنة، وإخفاء القوة خلف الضعف الظاهري يتحقق عبر المناورات التكتيكية.

وبالتالي فمن يظن أنه ماهر في التلاعب بالعدو (بإعطائه إشارات خادعة) يجب عليه الحفاظ على مظهره المخادع، والذي بناء عليه سيتصرف العدو. (إذا كنت قوياً فأظهر الضعف للعدو كي يهجم عليك، وإذا كنت ضعيفاً فاحرص على إظهار نقاط القوة لديك، فيحترس منك العدو ويبتعد - يجب أن تكون تحركات العدو بناء على إشارات نرسلها نحن إليه، وبذلك نبقيه في الموقع الذي نريده له).

عبر امتلاك شرك/طُعم يُغري العدو، ستبقيه دائماً زاحفاً، ثم تنتظره بأفضل رجالك المنتقين بعناية. (ربما قصد بذلك القوات الرئيسية).

المقاتل البارع يبحث في آثار اتحاد القوات، ولا يتوقع الكثير من الأفراد. (يُقدر مدى قوة جيشه ككل، ثم يأخذ المهارات والمواهب الفردية في الحسبان، ثم يستعمل كل فرد في الجيش حسب قدراته، ولا يطلب بلوغ الكمال من غير الموهوبين) وبذلك يصبح قادراً على اختيار الرجال المناسبين والاستفادة من اتحاد القوات.

عندما يستفيد من اتحاد القوات، يصبح مقاتلوه مثل الصخور المنقضة، لأن طبيعة الصخور البقاء في أماكنها ما دامت فوق سطح مستو، وطبيعتها أن تخر من عَل إذا وضعتها فوق منحدر. إذا كانت الصخرة على شكل مربع، فستتوقف سريعاً، وأما إذا كانت ذات شكل دائري، فستنقض بسرعة متزايدة في نزولها.

وبالتالي، فإن الطاقة التي تتجلي من خلال الرجال المقاتلين الباسلين، هي مثل القوة الدافعة التي يكتسبها الحجر الدائري الصغير المتدحرج من قمة جبل يرتفع آلاف الأمتار. هذا هو موضوع الطاقة. (أي أنه يمكن تحقيق نتائج عظيمة عن طريق قوات قليلة العدد).

الفصل السادس

نقاط الضعف والقوة

إن الجيش الذي يحتل ميدان المعركة وينتظر ملاقاة عدوه يكون مطمئنا وقادرا على ملاقاة الخصم، على عكس من يلحَق بالمعركة متأخرا يكون متعجلا ومرهقا، ولهذا فإن واحدة من مهارات الحرب هي أن تجبر العدو على ملاقاتك لا أن يجبرك على ملاقاته.

من يصل أولاً إلى أرض المعركة وينتظر العدو يكون مرتاحاً، ومن يصل متأخرا ويندفع للقتال يكون منهكا.

لذلك فالمقاتل الجيد يستدرج العدو إلى أرض المعركة ولا يدع العدو يستدرجه، وذلك بالتلويح له بفائدة ما.

ولمنع العدو من المجيء إلينا يجب صدّ تقدّمه. وعندما يرتاح العدو نتعبه، وعندما يرغب في سد رمقه يجب جعله يتضور جوعا.

يجب البروز فجأة حيث لا يمكن للعدو الوصول، والذهاب الى حيث لا يتوقّع. كما يجب شنّ هجوم بأعداد كبيرة ضد قوات عدو قليلة العدد ومبعثرة.

ويجب مراقبة العدو لمعرفة كفاياته وعيوبه، واستفزازه لمعرفة النهج العام لتحركاته، واستكشافه لمعرفة ترتيباته والتحقّق من ساحة المعركة، واختباره بمناورة صغيرة لمعرفة نقاط ضعفه ونقاط قوته.

نعم .. الطرف الذي يصل إلى ميدان القتال أولاً، وينتظر قدوم عدوه إليه، سيكون أكثر استعداداً للقتال، بينما من يصل ثانياً سيجب عليه التعجل للقتال وسيصل مُنهكاً مُرهقاً.

بذلك يفرض المقاتل الماهر رغباته على العدو، لكنه لا يدع العدو يفرض رغباته هو عليه (الجندي الماهر يحارب وفقاً لشروطه، أو لا يحارب على الإطلاق).

فعن طريق تحقيقه (القائد الماهر) للأسبقية، يمكنه إجبار العدو على الاقتراب منه كما يريد له، أو - عن طريق إلحاق الخسائر به - يمكنه جعل الأمر

مستحيلاً على العدو أن يقترب منه (في الشق الأول سيقدم للعدو طُعماً، وفي الثاني سيضرب العدو في أماكن مؤلمة تجبر العدو على التخندق للدفاع).

إذا كان عدوه يستريح، فسيقوم (القائد الماهر) بمضايقته، وإذا كان عند العدو خطوط إمداد جيدة توفر له مؤنة الطعام، فسيقوم بتجويع العدو، وإذا كان العدو يعسكر بشكل هادئ، فسيقوم بإجباره على التحرك.

احرص على الظهور في نقاط يجب على العدو الإسراع لكي يدافع عنها، وسر بأقصى سرعة إلى الأماكن التي لم يكن يُفترض بك التواجد فيها.

يمكن لأي جيش قطع المسافات الطويلة دون أي قلق نفسي أو كرب، هذا إذا سار خلال طرق لا يتواجد فيها العدو.

يمكنك الوثوق في نجاح هجومك فقط إذا هاجمت الأماكن غير المحروسة (النقاط الضعيفة)، يمكنك كذلك ضمان دفاعاتك إذا تمسكت بالنقاط التي لا يمكن الهجوم عليها.

(هذه الجملة مبهمة، على أن المعلقين يشرحونها بطريقة أخرى: لكي تجعل دفاعاتك قوية - يجب عليك الدفاع وتحصين كل الأماكن - حتى تلك التي لا تتوقع الهجوم عليها، على أن النقاط التي تتوقع الهجوم عليها - يجب عليك أن تزيد من تحصينك لها).

القائد الماهر في الهجوم لا يعرف خصمه ما الذي يجب عليه الدفاع عنه، وأما القائد الماهر في الدفاع فلا يعرف خصمه أين وكيف يهاجمه.

مثل خطى القدر، تلك التي تأتي في رِقة كاملة وفي سرية تامة، فتعلم منها أن تختفي عن العيون، وألا يصدر عنك أي ضوضاء (الهدوء التام)، فبذلك تتحكم في مصير العدو بيديك.

يمكنك التقدم بطريقة تجعل مقاومتك مستحيلة، إذا قصدت نقاط ضعف العدو. يمكنك التراجع والنجاة من مخاطر مطاردة العدو لك إذا كانت تحركاتك سريعة، أسرع من تلك للعدو.

إذا كنت تريد القتال، يمكنك دفع العدو للالتحام حتى ولو كان يحتمي خلف متاريس عالية وخنادق عميقة. كل ما علينا فعله هو الهجوم على الأماكن والمناطق التي تجبره على الخروج من مكمنه ليدافع عنها (إذا كان العدو هو الغازي، يمكنك قطع خطوط اتصالاته واحتلال الطرق التي يعتمد عليها في العودة، ما يضطره للعودة لتأمينها. إذا كنت أنت الغازي، ركز هجومك على حاكم بلاد العدو نفسه).

إذا كنت لا ترغب في القتال، اخدع العدو. يمكننا منع العدو من الالتحام معنا من خلال ترك آثار لمعسكراتنا بالكاد يمكن تتبعها على الأرض. كل ما نحتاجه هو أن نرمي بشيء غريب غير مفهوم وغير متوقع منا في طريق العدو.

عبر اكتشاف مناورات العدو وأماكن تجمعه، مع بقاءنا مختفين عن الأنظار، يمكننا إبقاء قواتنا مركزة ومكثفة، بينما يجب تفريق وتقسيم العدو. (إظهار العدو نفسه لنا يمكننا من تركيز القوات، بينما بقاءنا مختفين عنه يضطره لتقسيم قواته تحسباً لأي خطوة يمكن لنا أن نتخذها).

بإمكاننا تجميع جيش ذي جسد وقوام واحد، بينما يجب تقسيم العدو إلى فِرق وكسور، بذلك نكون جمعاً واحداً متوحدين ضد عدو متفرق متشتت، ما يجعلنا كثرة متحدة ضد قلة متفرقة.

وإذا كنا قادرين على الهجوم على قوة أقل شأناً بقوة أعظم منها، فغريمنا سيكون في كرب لا يُحسد عليه.

المكان التي سنهاجمه يجب ألا يكون معروفاً لأحد، لأن العدو يجب عليه أن يستعد لهجومنا في أكثر من مكان مختلف، فتكون قواته متفرقة مشتتة في اتجاهات مختلفة، وبذلك تكون القوات التي سنقابلها قليلة العدد مقارنة بنا.

بذلك إذا قام العدو بتقوية طليعة الجيش، فسيُضعف من قوة المؤخرة، وإذا قام بتقوية المؤخرة جاء ذلك على حساب الميمنة، وإذا قام بتقوية الميمنة جاء ذلك على حساب الميسرة. إذا أرسل العدو التعزيزات إلى جميع الأماكن، فهو يصبح

بذلك ضعيفاً في كل الأماكن (الحرب الدفاعية تخون صاحبها بسبب كثرة التعزيزات المطلوبة).

الضَّعف العددي ينبُع من الاستعداد لصد هجمات محتملة في أماكن متعددة، بينما القوة العددية تأتي من إجبار العدو على اتخاذ مثل هذه الاستعدادات لمقابلتنا (أن تضطر العدو لتقسيم وتجزئة قواته، ثم تهجم على كل جزء منها بكامل قوتك).

عِلمنا بمكان وموعد المعركة القادمة يمكننا من تركيز قوانا من مسافات بعيدة من أجل القتال (حسابات المسافات والأزمان وتطبيق المناسب من الاستراتيجيات بما يسمح للقائد بتقسيم جيشه من أجل السير لمسافات طويلة وسريعة، بما يمكنه من الوصول للمكان المناسب في الوقت المناسب وبالقوة المناسبة).

أما إذا كان المكان والزمان غير معروفين، فالميسرة تعجز عن مساعدة الميمنة، وتعجز الميمنة عن إسعاف الميسرة، والمقدمة عاجزة عن التخفيف عن المؤخرة، وتعجز المؤخرة عن دعم المقدمة، حتى ولو كانت المسافة الفاصلة بضع المئات من الأمتار.

(هذه الجملة في الأصل الصيني ينقصها دقة التوضيح، على أنه باستطاعتنا أن نرسم صورة لجيش تتقدم وحداته (مقدمة/مؤخرة/ميمنة/ميسرة) بشكل عشوائي وبدون أوامر محددة وقاطعة للمكان والزمان اللازم التواجد فيهما. إذا سمح قائد جيش لذلك الأمر بأن يحدث)التحرك العشوائي غير المنظم) فسيمكن القضاء التام على جيشه بكل سهولة).

حتى إذا كان جيش العدو يفوق جيشنا في العدد، فلن يعطي ذلك لهم أي أفضلية علينا، فأنا أستطيع القول أن النصر يمكن تحقيقه وقتها. (بدون التعارض مع المبدأ الذي يقول إنه في حالة استعداد العدو التام، فالنصر وقتها يكون غير مؤكد، على أن المقصود هنا هو جيش العدو الذي ظل في جهل تام بمكان وزمان المعركة المقبلة، فوقتها يمكن تحقيق النصر عليه).

رغم تفوق العدو في العدد، فبإمكاننا منعه من القتال. ضع الخطط التي تكشف نوايا العدو، وادرس إمكانيات نجاح ما يخطط له العدو.

أزعج العدو وعكر صفو يومه، ثم لاحظ نشاطاته وسكناته، وأجبره على أن يكشف عن نفسه، لكي تكتشف نقاط ضعفه المحتملة (إذا أزعجت العدو فستعرف من ردة فعله نواياه: هل يريد البقاء مختفياً عن الأنظار أو العكس).

قارن بحرص جيش العدو بجيشك، لتقف على نقاط القوة المفرطة، وتلك الناقصة.

عند القيام بالمناورات والتحركات التكتيكية، فإن أفضل شيء تقوم به هو أن تحجب تماماً وتخفي ما تنوي أن تفعله، وبذلك تكون بمأمن من عيون الجواسيس التي تراقبك، ومن دسائس أحكم العقول.

كيفية وإمكانية تحقيق النصر اعتماداً على سلوك وتكتيك وتحركات العدو، فهذا ما لا يستطيع أي شخص -عدا القائد- فهمه.

يمكن للجميع أن يروا التكتيك الذي به أقهر العدو، لكن لا يستطيع أحد رؤية الاستراتيجية التي يأتي النصر من خلالها (الجميع يرى كيف يتم الفوز بالمعركة، لكن ما لا يروه هو القائمة الطويلة من الخطط التي سبقت المعركة وأدت لهذا النصر).

لا تكرر التكتيك الذي اتبعته من قبل وجلب لك النصر، لكن اجعل تحديد الطرق التي تتبعها يتم وفقاً للظروف المتغيرة (النصر واحد، لكن الطرق المؤدية إليه لا يمكن حصرها).

التكتيكات العسكرية تشبه الماء كثيراً، فالماء في حالته الطبيعية ينساب بسرعة من الأماكن العالية إلى المنخفضة.

لذا في الحرب، الطريق السديد هو أن تتجنب نقاط القوة وأن تضرب ما هو ضعيف (مثل الماء المنساب، الذي يختار في طريقه المسار الأقل مقاومة لهذا الانسياب).

تحدد المياه مسارها وفقاً لطبيعة الأرض التي تنساب فوقها، والجندي يعمد إلى توفير أسباب النصر وفقاً للعدو الذي يواجهه.

إذن، تماماً مثلما الماء الذي لا يتخذ شكلاً ثابتاً مستديماً، فالحرب لا تعرف شروطاً أو أحوالاً ثابتة.

من يستطيع تعديل تكتيكاته بناء على خصمه، محققاً بذلك النصر، فهذا القائد هو هدية السماء.

العناصر الخمسة (الماء، النار، الخشب، المعدن، الأرض) لا تهيمن أو تسود بشكل منتظم، كما أن الفصول الأربعة تعطي المجال لبعضها البعض في التعاقب، كما أنه هناك الأيام القصيرة و تلك الطويلة، والقمر له منازله التي ينير فيها وتلك التي يختفي فيها تماماً (أراد سون أتزو ضرب المثل في أن الحرب - مثلها مثل كل شيء في الطبيعة- لا تعتمد على عوامل ثابتة جامدة، بل عوامل متغيرة بطبيعتها).

الفصل السابع

المناورة

أثناء الحرب يحصل القائد العام على الأوامر من القائد الأعلى وتتم التعبئة وتحريك الجيش وانتشاره، حيث يكون على أهبة الاستعداد.

ثم تأتي أصعب الخطوات في العمليات العسكرية، وهي فن المناورة العسكرية.

وتكمن صعوبة المناورة في تمهيد الطرق الملتوية، وتحويل السلبيات إلى إيجابيات. الناجية .

من لا يعرف خطط العدو لا يمكنه الاقتراب منه قبل المعركة.

ومن يجهل معالم الغابات والجبال والممرات الضيقة الوعرة والمستنقعات، لا يمكنه قيادة جيشه في السير نحو العدو.

من لا يلجأ إلى الأدلاء المحليين لا يمكنه الاستفادة من الجغرافيا.

وبما أن الحرب هي خدعة، تحرّك عندما يكون ذلك في مصلحتك.

واخلق التغييرات في الوضع عن طريق نشر القوى أو حشدها.

من تحيّن استغلال الطرق الملتوية والطرق المستقيمة في التقدّم يحرز النصر.

وهذا هو فن المناورة في التقدم.

وفي الميدان كن " سريعاً كالريح.

صامتاً كالغابة.

ضارياً كالنار.

وثابتاً كالجبل" .

الفصل الثامن

تنويع التكتيكات الحربية

القائد المحنك ذو التفكير المدروس لا بد أن يأخذ في الاعتبار العوامل المناسبة وغير المناسبة عند الهجوم..

أثناء الحرب يحصل القائد العام للقوات على الأوامر من القائد الأعلى ويعلن التعبئة ويحرك الجيوش، ولا يتحرك بجيوشه إذا كانت الأرض وعرة، لكنه يحاول الاتحاد مع الحلفاء إذا كانت الأراضي خطرة .

إن كان في أرض محاصرة يلجأ للخدع الحربية، فهناك بعض الطرق التي يجب ألا تسلكها، وبعض الجيوش التي يجب أن تهاجمها، وبعض المدن التي يجب عدم الاعتداء عليها، وبعض الأراضي التي لا يصح النزاع عليها لعدم صلاحيتها، بعض الأوامر من القيادة العليا التي لا يجب تنفيذها.

جرت العادة، عند قيام الحرب أن يتلقى قائد الجيش أوامره من الحاكم، فيجمع جنوده، ويعبئ المواطنين.

وعلى القائد أن لا يقيم مخيمه في مكان وعر وخطر، وأن لا يتأخر في أرض مقفرة وجرداء، وأن يوفر الخطط للنفاذ من أرض محاصرة. كما يوصي (اتزو) بالقتال على الأرض التي تهدّد بالموت، وبعقد التحالفات حيث تقاطع الطرق. وهو يرى أن هناك طرقات يمكن المرور بها، ولكن على الجيش ألاّ يسلكها، وهناك جيوش لا يجب مجابهتها، ومدن لا يجب مهاجمتها. كما أن ثمة أوامر من الحاكم لا حاجة إلى تنفيذها في بعض الأحوال.

وفي الفن العسكري مبدأ مفاده، أن لا نفترض أن العدو لن يأتي، وأن نعتمد على استعدادنا لمواجهته.

عندما تخوض في بلد صعب (ليس فيه مصادر مياه أو طعام، ذي تضاريس منخفضة)، لا تضرب معسكرك فيه. اتحد مع حلفائك في بلد تتقاطع فيه الطرق الواسعة (بمعنى سهولة التنقل). لا تتسكع في أماكن خطيرة ومعزولة. إذا كنت في أراضٍ مُحاطة ومُحاصرة - الجأ للخداع، إذا كنت في موقف يائس (أرض الموت) - فيُتحتم عليك القتال.

١- هناك طرق عليك ألا تسلكها (تلك التي تخشى أن ينصب لك عدوك فيها فخاً أو مكيدة) .

٢- هناك جيوش يجب ألا تهاجمها (إذا وجدت فرصة للهجوم، لكنك أضعف من أن تحقق النصر، فلا تهاجم) .

٣- هناك مدن يجب ألا تحاصرها (لا تحاصر مدن لا تستطيع إدارتها، أو إذا كان تركها لا ضرر فيه عليك).

٤- هناك مواقف لا يجب أن تقاتل بضراوة من أجلها.

٥- هناك أوامر للحاكم يجب ألا تطيعها (عندما ترى الطريق الصحيح، اسلكه ولا تنتظر الأوامر).

القائد الضليع بالمزايا التي تنتج عن تنويع التكتيكات الحربية حسب المتغيرات التسعة و يعرف كيف يتعامل مع قواته ويوظفها بأحسن طريقة.

القائد غير الملم بهذه المزايا، قد يكون عالماً بتضاريس البلاد، لكنه لن يتمكن من تحويل هذه المعرفة إلى فائدة عملية.

طالب الحرب غير المتمرس في فنونها الخاصة بتغيير الخطط وفقاً للمتغيرات الحربية، حتى ولو كان عالماً بالمزايا الخمس (سابقة الذكر)، سيفشل في تحقيق أقصى استفادة من جنوده.

(إذا كان الطريق قصيراً خالياً من المخاطر - اسلكه.

إذا كان جيش العدو معزولاً - هاجمه.

إذا كانت مدينة العدو في ظروف محفوفة بالمخاطرة - حاصرها.

إذا كان الموقف يسمح بالهجوم الكاسح - يجب أن تحاول الهجوم.

إذا توافقت مع الأعراف العسكرية - فيجب طاعة أوامر الحاكم).

في خطط القائد الحكيم، ستتصهر معاً اعتبارات المزايا والعيوب. (يجب انتهاز الفرص السانحة، وتجنب المخاطر المهلكة، دون تهور أو إهدار فرص).

باتخاذ العناصر المواتية في الحسبان: تصبح الخطة الحربية قابلة التنفيذ. باتخاذ العناصر غير المواتية في الحسبان: يتم تذليل الصعاب والمخاطر والبحث عن حلول. (إذا أردت أن استغل نقطة ضعف للعدو، يجب أن أحسب كذلك رد فعل العدو الانتقامي جراء ذلك، ثم احسب المزايا والعيوب الإجمالية). بذلك قد ننجح في تحقيق الجزء الأساس من مخططنا العام.

من الناحية الأخرى، إذا كنا - في خضم مشاكلنا - مستعدين لانتهاز أي فرصة قد تتاح لنا، فيمكننا أن نُخرج أنفسنا من مأزقنا.

لتقلل من عدد الأعداء - ألحِق بهم الدمار وسبب لهم الكثير من المشاكل، اجعلهم دائماً مشغولين بمشاكلهم الداخلية، قدم لهم الإغراءات الخادعة حسنة المظهر، واجعلهم يسرعون في الخروج إلى أي مكان وراءها. (يُعلق شيا لن موضحاً: إلحاق الدمار ليس مقصوراً على الأذى البدني، ابذل الإغراءات الكثيرة لأفضل وأحكم رجال العدو فيصبح بدون مستشارين. املأ بلده بالخونة الذين يقيضون نظام حكمه. قم بترتيب المؤامرات والخدع، وازرع الشك بين الحاكم وبين وزرائه. مستخدماً كل حيلة ذكية، تسبب في حدوث التلف والتدهور في ثروات شعبه وخزانته. أفسد أخلاقه عبر هدايا ماكرة تؤدي به إلى الجشع وطلب المزيد والمغالاة. أزعج باله ولا ترحه بتقديم امرأة لعوب فاتنة الجمال له. غرر به فاجعله يخرج بجنوده إلى مكان تلحق به شديد الأذى (المناورات كبيرة عدد الجند تستنزف من موارد الدولة. أرهق خزينته العامة وبدد موارده وأصوله المالية. احرص على بث روح الفرقة بين صفوفه ولا تسمح له بالوحدة الداخلية).

يُعلمنا فن الحرب ألا نعتمد على فرضية عدم هجوم العدو، بل أن نجهز أنفسنا لملاقاته، ليس اعتماداً على فرضية عدم قيامه بالهجوم، بل على حقيقة أننا جعلنا موقفنا العسكري صلباً لا شك في قوته.

هناك خمسة أخطاء خطيرة تؤثر على القائد العسكري:

١- الطيش والتهور المؤدي إلى الهلاك (شجاعة ينقصها التروي مثل الثور الهائج) - مثل هذا العدو لا تقابله بالقوة الغاشمة، بل غرر به إلى كمين ثم

اذبحه.)الشجاعة وحدها لا تكفي لتحقيق النصر، إذ يلزمها العقل والتدبر والتروي وحساب العواقب).

٢- الجبن المؤدي إلى الوقوع في الأسر (التخلي عن انتهاز الفرص السانحة - الهرب من مواجهة الخطر - الحرص على العودة حيّاً من المعركة - عدم الاستعداد للمخاطرة).

٣- حدة طبع متسرعة، يمكن استثارتها بسهولة عبر الإهانات.

٤- حساسية مفرطة تجاه الشرف والسمعة تسبب الخوف الشديد من الخزي والعار. (لا يجب فهم هذا المقطع على أنه ذم في مبادئ الشرف، بل الذم هنا موجه للحساسية المفرطة، فمن يذدّ عن شرفه لن يهتم بأشياء أخرى كثيرة، ويمكن وضعه في المكان الذي تريده فيه بسهولة).

٥- القلق المفرط على حياة الجنود وعدم الرغبة في المخاطرة بحياتهم. (مرة أخرى، ليس القصد عدم الاكتراث بحياة الجنود، بل المقصود أن الخوف من تقديم أي تضحيات عسكرية حفاظاً على حياة الجنود هو سياسة قصيرة النظر، لأنه على المدى الطويل سيعاني أولئك الجنود من الهزيمة (الأسر - القتل) أو في أفضل الأحوال إطالة زمن الحرب. الشعور بالأسى على الجنود سيدفع القائد لعدم الالتزام بالقواعد وارتكاب الأخطاء الحربية).

هذه هي الخطايا الخمس المغرية للقائد العسكري، ذات الأثر المدمر على طريقة إدارة الحرب.

عند هزيمة الجيش ومقتل قائده، فحتماً السبب لن يخرج عن هذه الأخطاء الخمس. اجعل هذه الأخطاء محل تأمل وتفكر وتدبر.

الفصل التاسع

فن تحـــــريك الجنـود

بصفة عامة فإن من أسس الحرب والمناورة أن تفضل الجيوش الأرض المرتفعة والأماكن المشمسة، فإن أقام جيش بأرض مرتفعة معسكرا قريبا من الماء والخضرة مع وجود إمدادات كافية يقي نفسه من أمراض لا حصر لها، وهكذا يسجل النصر، وحين تقترب من تلال أو خنادق أو رصف نهرية مشمسة يستفيد الجيش من كل هذه المزايا، ومن موارد الأرض المتاحة له، وحين تسقط الأمطار الغزيرة ويزداد ارتفاع منسوب النهر لا تعبره حتى يخف، وإذا وجدت السيول المندفعة والآبار والشقوق والشباك والفخاخ يجب أن تزحف بعيدا عنها ولا تقترب منها، وبينما تبتعد عنها لابد أن تجذب العدو نحوها.

كان أول ما يفعله المقاتلون المهرة في الماضي هو بقاؤهم في حالة اللاغلبة، منتظرين ظهور أية ثغرة في صفوف أعدائهم، وتعتمد حالة اللاغلبة على المقاتل، لكن سقوط العدو يكمن في ثغرات العدو ذاته، فالمقاتلون المهرة يحافظون على حالة اللاغلبة لكنهم لا يقدرون على جعل العدو هدفا سهلا، لذلك يمكن القول بأن المرء قد يعرف كيف يحرز النصر، ولكنه قد لا يستطيع.

تكمن حالة اللاغلبة أو عدم الهزيمة في طريقة الدفاع؛ فإمكانية النصر تكون في الهجوم. دافع عن نفسك إذا كانت قوة العدو تفوقك، وهاجمه حين تكون هذه القوة غير كافية.

يجب أن يكون تحريك الجند مطابقا لفن الخداع الحربي ، فعندما تكون القوة عشرة أمثال قوة العدو فلابد من إحاطته وتطويقه، وعندما تكون القوة خمسة أمثال قوة العدو فلا بد من مهاجمته، وإن كانت القوة ضعف قوة العدو تناوشه، وفي حالة تساوي القوتين لابد أن تكون قادرا على تقسيم قوات العدو فيجب تشتيتها، وإن كانت القوة أقل من العدو فيجب أن تكون قادرا على الدفاع عن نفسك ، وإن كانت الظروف غير مواتية من كافة النواحي فليس أمامك سوى مراوغة العدو .

قبل تحريك الجيش لمواجهة العدو، لا بد من إجراء استطلاع دقيق.

اخترق الجبال وابقَ بالقرب من الوديان وأقم المخيم على مرتفع، وعندما يتمركز العدو في موقع مرتفع لا تهاجم صعوداً.

بعد عبور النهر، ابتعد عنه، ولا تهاجم العدو عند حافة النهر، دعه يعبر حتى نصفه وهاجمه في الأرض المنبسطة، احتل موقعاً يسهل عملك، واجعل الجبال خلفك وعلى ميمنتك ومؤخرتك محمية.

عندما تشاهد العصافير تتطاير من دغل، فالعدو يعدّ لك كميناً. وعندما ترتفع سحب الغبار فجأة وعمودياً فالعربات قادمة. أما إذا ارتفعت سحب الغبار منخفضة وكثيفة وعريضة فمشاة العدو يقتربون.

ويرى أتزو أنه عندما يفاوض العدو بكثير من التواضع في حين يتابع استعداداته فهو سيهاجم، وعندما يتحدث مفاوضوه بشكل مخادع واستفزازي بينما وحداته تتقدّم بشكل استعراضي، فهو على وشك الانسحاب.

الفصل العاشر

التضاريس

يمكن تصنيف الأرض وفق طبيعتها إلى: سهلة، محفوفة بالمخاطر من دون فائدة، ضيقة، وعرة وشاسعة.

وعلى القائد الجيد الاستعلام عنها بعناية واتخاذ الخطط الملائمة لطبيعتها.

إن تطابق الأرض مع الخطة العسكرية ضروري جداً.

اعرف نفسك، واعرف عدوك، هذا يعني أن النصر مؤكد.

اعرف الأرض، واعرف الطقس، فهذا يعني أن النصر شامل.

و يمكننا تقسيم التضاريس إلى ستة أنواع:

١- الأراضي سهلة المنال (ذات طرق معبدة وطرق اتصال متعددة).

٢- الأراضي المحفوفة بالمخاطر (التي إن دخلتها وقعت في فخ يسهل نصبه لك).

٣- الأراضي المُعوِّقة (الأراضي التي تؤخرك وتؤخر من يأتي على أثرك)

٤- الممرات الضيقة

٥- المرتفعات الخطرة

٦- المواقع شديدة البعد عن العدو

(قد لا يتفق واقعنا المعاصر مع هذا التقسيم، إلا أنه يظل يخبرنا عن طريقة التفكير العسكرية الصينية القديمة).

أما الأراضي التي يمكن عبورها بسهولة من كلا طرفي القتال، نسميها سهلة المنال.

مع أراضٍ هذه طبيعتها، يتعين عليك أن تحتلها قبل العدو، وخاصة المناطق المرتفعة المشمسة (ذات مستوى الرؤية الأكبر)، واحرص على حماية خطوط إمداداتك فيها. وقتها يمكنك القتال ومعك الأفضلية. (سر الانتصار في الحرب يكمن في متانة خطوط الإمداد والاتصالات - نابليون بونابرت مثالا).

الأراضي التي يمكن الانسحاب منها، لكن يصعب احتلالها مرة أخرى، نسميها المحفوفة بالمخاطر.

في موقف مثل هذا، وإذا كان العدو غير مستعد، فيمكنك أن تباغته بهجوم مفاجئ وتهزمه. لكن إذا كان العدو مستعداً لمجيئك، وفشلت في هزيمته، وكانت الرجعة مستحيلة، فستحل بك الكوارث.

إذا كانت الأرض يستحيل على كلا الطرفين إحكام السيطرة عليها من خلال اتخاذ الخطوة الأولى، فهذه نسميها المُعَوِّقة. (كلا الطرفين يعرف أن اتخاذ الخطوة الأولى في غير صالحه، فيبقى الطرفان في حالة جمود تنتهي بالوقوع في مأزق كبير).

في موقف مثل هذا، وحتى لو كان العدو يقدم لنا طُعماً جذاباً، (بإدارة ظهره لنا والتظاهر بالانسحاب - ما يغرينا بترك موقعنا الحالي) فمن الأفضل أن لا نشتت قوانا، بل ننسحب، بطريقة تغري العدو بنا، وما أن يتحرك قسماً من جيشه ويخرج للقائنا، حتى يمكننا ساعتها الهجوم عليه وبذلك تكون لنا الأفضلية.

بالنسبة إلى الممرات الضيقة، فإذا استطعت احتلالها مقدماً، فاحرص على تحصينها جيداً وانتظر قدوم العدو. (بذلك تكون المبادرة في أيدينا، إذ عبر التحرك المباغت والمفاجئ نضع العدو تحت رحمتنا).

رغم قدرة العدو على إحباط خططك لاحتلال ممر ما، لكن لا تذهب خلفه إذا قام هو بتحصين ممر ما جيداً، وأما إذا كان التحصين ضعيفاً فاذهب خلفه.

بالنسبة للمرتفعات الخطيرة، وإذا كنت تسبق الخصم، فعليك باحتلال النقاط المرتفعة والمشمسة، ثم اقبع في انتظار العدو. (ميزة احتلال المرتفعات تكمن في صعوبة معرفة العدو لما تخطط له، وبذلك لا يستطيع أن يُملي عليك قرارتك). (يحكي التاريخ عن جيوش عسكرت في سهول وتركت مرتفعات، فجاءت الأمطار والسيول فاجتاحت سهول معسكراتهم، ولذا فالمرتفعات ذات مزايا كثيرة).

إذا سبقك العدو لاحتلال المرتفعات، لا تتبعه، لكن انسحب وأغريه بالنزول وراءك.

إذا كنت في موقع يبعد بمسافة طويلة جداً عن العدو، وكانت قوى كلا الطرفين متساوية، فلن يكون سهلاً استثارته لبدء القتال بينكما، بل وسيكون القتال في غير مصلحتنا. (لا ينبغي أن نفكر في خوض مسيرات طويلة منهكة، بينما العدو ينتظرنا بكامل قواه).

هذه هي المبادئ الست المرتبطة بالأرض. القائد العسكري الذي بلغ موقع المسؤولية عليه أن يدرس هذه المبادئ جيداً.

المهالك الستة للجيوش

تتعرض الجيوش لستة أنواع من المهالك (المخاطر)، لا تنشأ من الأسباب الطبيعية، لكن من أخطاء قيادية، يتحمل مسؤوليتها القائد العسكري، وهي:

١- الاندفاع/الانهيار/الفرار.

٢- التمرد وعصيان الأوامر.

٣- الانهيار الداخلي وفقدان الشجاعة.

٤- الخراب.

٥- انهيار التنظيم.

٦- الهزيمة المنكرة.

عند تساوي بقية المؤثرات وحيادها، وتم الزج بقوة عسكرية ما، ضد قوة عسكرية أخرى أقوى منها بعشرة مرات أو تزيد، فالنتيجة هي حدوث حالة من الاندفاع غير المحسوب للفرقة الأولى.

إذا كان الجنود العاديون أقوياء، بينما ضباطهم ضعفاء، فالنتيجة الحتمية هي حدوث حالة من التمرد والعصيان الجماعي للأوامر بين الجنود. أما عند حدوث العكس، فستنشأ حالة من الانهيار الداخلي وفقدان الشجاعة والضعف العام.

(الضباط الأقوياء يريدون التقدم فيضغطون على الجنود الضعفاء، فينهار الجنود بشكل جماعي وتعم الفوضى).

عندما تغضب الرتب العليا من الضباط، ويبدؤون هم في عصيان الأوامر (بعدم انتظار الأوامر الصادرة لهم والتصرف حسبما يرونه في مصلحتهم)، فتجدهم عند لقاء العدو يقاتلون وفقاً لأهوائهم وانطلاقاً من شعورهم بالاستياء، من قبل أن يُصدر القائد العام الأمر لهم ببدء القتال، فالنتيجة الحتمية هي حلول الخراب والدمار.

عند ضعف القائد العام وتجريده من أي صلاحيات لتنفيذ أوامره، وعندما تكون أوامره غير واضحة أو جلية، وعند عدم وجود واجبات روتينية محددة وواضحة منوطة بالضباط والجنود، وعند تنظيم الرتب العسكرية بشكل فاسد عشوائي، فالنتيجة هي حدوث حالة متقدمة من الانهيار في الكيان التنظيمي العسكري.

عند يعجز القائد عن تقدير قوة العدو، فيسمح لقوة صغيرة بقتال قوة أكبر منها، أو يدفع بفصيلة ضعيفة بسرعة تجاه أخرى أقوى منها، ويهمل وضع أفضل الجنود في الصفوف الأمامية، فالنتيجة هي الهزيمة المنكرة (وضع أفضل الرجال في الصفوف الأمامية يرفع معنويات الجنود، ويقلل من معنويات جنود العدو).

هذه هي الحالات الستة من الهزائم المحتمة في ميدان القتال، والتي يجب دراستها بعناية من قِبَلِ القائد الذي تم تعيينه في موقع المسؤولية.

التنظيم السوي للدولة هو أفضل حليف للجندي، وأما القدرة على حسن تقدير قوة الخصم، والتحكم في الأسباب المؤدية إلى النصر، وحسن حساب الصعاب والمتاعب والعقبات، والمخاطر والمسافات، فتلك التي تضع قدرات القائد العظيم تحت الاختبار.

من يعرف كل هذه النقاط جيدا، ويضع تلك المعرفة عند الحرب قيد التنفيذ، فسينتصر في معاركه. من لا يعرفها، أو لا يضعها قيد التنفيذ، فبكل تأكيد سيعاني ويلات الهزيمة.

إذا كانت نتيجة القتال هي النصر حتماً، فعندها يجب أن تقاتل، حتى ولو منعك الحاكم العام من ذلك. إذا لم يكن القتال ليؤدي إلى النصر، فعندها يجب ألا تقاتل، حتى ولو أمر الحاكم العام بذلك.

القائد العسكري الذي يتقدم دون أن يكون غرضه الشهرة، وينسحب دون الخوف من لحاق الخزي والعار باسمه، الذي يسيطر علي فكره شيء واحد هو حماية وطنه وخدمة الملك، فهذا القائد هو درة تاج الدولة.

انظر إلى جنودك كما لو كانوا أطفالك، وهم سيتبعونك وقتها إلى مهالك الوديان العميقة، وانظر إليهم كما لو كانوا أحب أبنائك إليك، وهم سيقفون معك حتى يلقوا حتفهم. (أن ترتدي أقل ملابسهم التي يرتدونها قدراً، وأن تأكل أدنى طعام يحصلون عليه، وأن تسير كما يسيرون، وأن تركب ما يركبون، وأن تحمل على ظهرك مثل ما يحملون، ...).

إذا كنت - على أية حال - طيباً متساهلاً، لكن غير قادر على جعل جنودك يعرفون حدود سلطاتك عليهم، وإذا كنت طيب القلب - غير قادر على فرض أوامرك بالقوة، وغير قادر - فوق كل ذلك - على قمع مظاهر الفوضى والشغب، فوقتها يصبح جنودك مثل الأطفال المدللين - لا نفع يُرتجَى منهم أو فائدة. (إذا خافك الجنود وخشوك - لم يخشوا العدو).

إذا علمنا أن الجنود في وضع يسمح لهم بالهجوم، ولم ندرِ بأن العدو في وضع لا يسمح له بالهجوم، فنحن وقتها نكون قد قطعنا نصف الطريق فقط إلى النصر.

إذا علمنا أن العدو في وضع يسمح له بالهجوم، ولم ندرِ بأن الجنود في وضع لا يسمح لهم بالهجوم، فنحن وقتها نكون قد قطعنا نصف الطريق فقط إلى النصر.

إذا علمنا أن العدو في وضع يسمح له بالهجوم، وعلمنا كذلك بأن الجنود في وضع يسمح لهم بالهجوم، ولم ندرِ بأن طبيعة تضاريس أرض المعركة تجعل القتال غير مُجُدٍ، فنحن وقتها نكون لا زلنا قد قطعنا نصف الطريق فقط إلى النصر.

بناء على ذلك، فالجندي المحنك الخبير، ما أن يصبح في وضع الحركة، لا تصيبه الحيرة أو الارتباك، وما أن يعسكر، فهو لا يخسر أي شيء. (لأنه يحسب كل شيء قبل أن يتحرك، ويتحرى أسباب النصر جيداً، ويعمد على جعلها تعمل لصالحه، ولذا فهو عندما يتحرك، فهو لا يرتكب أي خطأ).

وهكذا تصح المقولة: إذا عرفت عدوك وعرفت نفسك، فالنصر لن يصبح محل شك. إذا عرفت طبيعة سماء وطبيعة أرض المعركة، فأنت تجعل انتصارك كاملاً.

الفصل الحادي عشر

ساحات المعركة التسع

□ □ □

فن الحرب يعرف تسعة أنواع من الأراضي:

١- الأرض المُشتِّتة (التي تُشتت)

٢- الأرض السهلة

٣- الأرض التي تستحق مشقة الاستيلاء عليها

٤- الأرض المفتوحة

٥- أرض تقاطعات الطرق

٦- الأرض الخطيرة/الحرجة

٧- الأرض الصعبة

٨- الأرض المُحاطَة

٩- الأرض الميئوس منها/المُهلكة

عندما يقاتل القائد على أرضه، فهو يقف على أرض مُشتِّتة. (سُميت كذلك لأن الجنود يعلمون قربهم من أرضهم وبيوتهم، وهم حتماً في حالة شوق للعودة إلى زوجاتهم وأبنائهم، ولذا سينتهزون الفرصة التي تسنح أثناء القتال، لينتشروا في الأرض متشتتين في كل الاتجاهات فارين إلى وطنهم).

وعندما يتغلغل القائد داخل أرض معادية لمسافة قصيرة، فهو يقف على أرض سهلة (بسبب سهولة الانسحاب منها والعودة إلى أرضه).

الأرض التي يجلب الاستيلاء عليها، المنفعة لكلا طرفي الصراع، هي أرض تستحق مشقة ومئونة الاستيلاء عليها. (تشمل الأرض التي يستطيع القلة والضعفاء الدفاع عنها بل والانتصار فيها على الأقوياء، مثل الممرات الضيقة).

الأرض المفتوحة هي تلك التي يستطيع كلا الطرفين التحرك فيها بحرية كاملة، تدعمها شبكة طرق متصلة ومتقاطعة.

الأرض التي تشكل مفتاح الوصول لثلاث دول متجاورة (أرضنا، أرض العدو،

أرض الدول المجاورة) بطريقة تجعل من يحتلها أولاً قادراً على إخضاع الإمبراطورية بأكملها لسيطرته (يحصل وقتها على ولاء الباقين) والأرض التي تحتوي على الكثير من طرق المواصلات المتقاطعة والمتقابلة هي أرض تقاطعات الطرق.

عندما يتغلغل الجيش عميقاً داخل قلب أرض العدو، تاركًا عدداً من المدن الحصينة وراءه لم يفتحها، فهذه الأرض تكون خطرة (عندما يبلغ جيش ما هذه النقطة، فهو في موضع خطير).

الغابات والأجراف الوعرة والمستنقعات العميقة والضحلة، وجميع الأراضي التي يصعب عبورها إلا بشق الأنفس، هذه الأرض تسمى الأرض الصعبة.

الأرض التي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر مداخل وممرات ضيقة، والتي لا يمكن الانسحاب منها إلا عبر ممرات غير مأمونة، مما يجعل فصيلة صغيرة للعدو قادرة على سحق عددٍ كبيرٍ من قواتنا، هذه الأرض تسمى الأرض المُحاطة (محفوفة بالمخاطر).

الأرض التي يمكننا النجاة عليها من الهلاك -فقط عبر القتال الشامل المستبسل دون أي تأخير، تسمى الأرض اليائسة (تشبه سابقتها، عدا أنها بلا سبيل نجاة واضح، كحال قارب يغرق أو بيت يحترق).

لذا لا تقاتل أبداً على الأرض المُشتتة، ولا تقف على الأرض السهلة، ولا تهاجم على الأرض التي تستحق مشقة الاستيلاء عليها.

إذا حصل العدو بالفعل على الوضع الأفضل، وأصبح لديه مزايا تفرض علينا ألا نهاجمه، بل نغريه (بتصنع الفرار) للخروج إلى الأرض التي يكون لنا نحن عليها المزايا والأفضلية.

لا تحاول سد طريق العدو فوق الأرض المفتوحة، لأن ذلك سيقلب الأمور عليك وسيضع القوة المهاجمة في وضع صعب للغاية وفوق أرض تقاطعات الطرق تحالف مع جيرانك.

انهب واسرق بأقصى قوتك فوق الأرض الخطرة (هذه النصيحة تعارض المبادئ الاستراتيجية المتعارف عليها، من عدم معاداة أهل أرض العدو، والإحسان إليهم لكسبهم في صفك، فلا يكونوا مسماراً في ظهرك، ولعله قصد نفي ذلك لا الحث عليه، لكن كتابات المعلقين تمضي مؤيدة لعكس ظننا هذا).

فوق الأرض المُحاطة، عليك بالخدعة والحيلة ابتكر الجديد المناسب للموقف بما يضلل العدو، وفوق الأرض الميئوس منها: قاتل حيث إن القتال حين لا تلوح في الأفق فرصة للهرب يدفع الجندي لأن يُعطي كل ما عنده أملاً في النجاة بالانتصار.

قدامى القادة المهرة المحنكين عرفوا كيف يدقون إسفيناً بين مقدمة ومؤخرة جيش العدو (يفصلون تماماً بينهما) مانعين الاتصال والتعاون بين وحدات الجيش الكبيرة والصغيرة، مانعين إنقاذ وحدات العدو القوية لتلك الضعيفة المصابة، ومانعين قادة العدو من لَمِّ شمل فلول جنودهم والعودة بهم للمعركة.

عندما كان جنود العدو متحدين، تمكن القادة القدامى من نشر الفوضى بين أفراد العدو لا تسمح لهم بالتجمع.

عندما كان ذلك في مصلحتهم، أصدر قدامى القادة الأوامر بالتحرك للأمام، وعندما لم يكن كذلك، أصدروا الأمر بالتوقف التقدم بغرض بث الفوضى بين العدو، والتوقف إذا لم يكن التحرك ليأتي بفائدة. إذا تجمعت قوات العدو، فلا تسمح له بأن ينتظم.

إذا سألتني ما العمل مع عدو كثير العدد، ضخم الحجم، منظم الصفوف والخطوط، على أهبة الاستعداد للسير إليك؟ أجيبك التالي: ابدأ بالاستيلاء على شيء له قيمة كبيرة عند العدو، عندها سيطيع العدو رغباتك.

السرعة هي جوهر الحرب، واحرص على الاستفادة من عدم استعداد العدو، وشق طريقك مستخدماً سُبلاً غير متوقعة، وهاجم النقاط غير المحروسة.

فيما يلي المبادئ التي يجب مراعاتها من قِبَل القوات المهاجمة، فكلما تعمقت قواتك في قلب حدود العدو، كلما زاد تماسك جنودك، وهكذا لن يتمكن المدافعون من النيل منك.

اغز البلاد الخصيبة من أجل إمداد جيشك بالطعام.

ادرس بعناية أسباب وعوامل راحة جنودك (رفه عنهم، عالجهم، تبسَّط معهم، أعطهم ما يفيض عن حاجتهم من الطعام والشراب)، ولا تقم بفرض الضرائب الزائدة عليهم. ركز طاقتك وادخر قواك. ابق جيشك مترابطاً ومتحركاً على الدوام (بحيث لا يعرف العدو مكاناً محدداً لك) واخترع خططاً مبهمة غير مفهومة (من قِبَلِ العدو).

اقذف بجنودك في مواقف لا مهرب منها، وهم ساعتها سيفضلون الموت على الفرار. إذا واجه جنودك الموت، فلا يوجد شيء يعجزون عن تحقيقه. وقتها سيبذل الجنود والضباط معاً أقصى ما لديهم من طاقات.

يفقد الجنود في المواقف اليائسة الإحساس بالخوف، فإذا لم يكن هناك أي مهرب فسيقفون ثابتين، إذا كانوا فوق أرض العدو، فستكون مقدمتهم عنيدة، إذا لم يكن هناك أي مساعدات تُرتَجَى، فسيقاتلون بشدة وصلابة.

بذلك وبدون إصدار أوامر لهم، سيكون الجنود حينها في حالة عطاء دون سؤال، ينفذون ما تريده قبل أن تطلبه منهم، بدون أي تحفظات أو حدود، في حالة قصوى من العطاء، حيث يمكنك الثقة بهم.

امنع التعاطي في أفكار نذر الخير والتشاؤم، واقض على أي خرافات أو شكوك، وحتى يأتي الموت ذاته، فلا يجب الخوف من أي فترات هدوء. (الخرافات تجلب الخوف واليأس، وتقتل الرجال مئات المرات قبل أن يلقوا حتفهم فعلاً. يجب القضاء على التعاطي بالسحر والتنجيم واستطلاع النجوم بين الجنود، فذلك يُدخل الخوف إلى عقولهم).

إذا لم يعد جنودك مهتمين بالحصول على الأموال، فلا تظن ذلك مرده

زهدهم في الغنى، وإذا لم تعد حياتهم طويلة مديدة، فلا تظن لك سببه عدم رغبتهم في العيش. (يريد سون أتزو القول أن الجنود ما هم إلا بشر، تراودهم أطماع الاغتناء والعمر المديد، لذا فلا تقذف في طريقهم أي مغريات تشجع لديهم هذه الرغبات "الطبيعية" التي تجعلهم يتركون القتال ويقبلون على الدنيا).

في اليوم الذي تصدر فيه الأوامر للجنود بالقتال، ساعتها سيذرف الجنود الدموع، وتسيل على خدودهم حتى تبلل ملابسهم. (ليس ذلك مرده الخوف، بل لأنهم عاقدو النية على تنفيذ الأوامر أو الموت دونها) لكن دع هؤلاء يطئون أرض المعركة، وستجدهم يظهرون شجاعة شو أو كيو.

البطل شو رجل عاصر سون أتزو، وقد تم تكليفه باغتيال الحاكم وانج لي-او بخنجر خبأه في أحشاء سمكة قُدمت على الطاولة، لكنه ما أن فعل فعلته حتى تحول إلى أشلاء صغيرة بفعل سيوف حراس الملك - على أنه نجح في تحقيق ما ذهب من أجله.

البطل الثاني سبقت شهرته الأول، حيث كانت مملكة لوو قد انهزمت ثلاث مرات من مملكة تشي، وكانت على وشك الاستسلام مقابل التنازل عن قطعة كبيرة من أراضيها، فما كان من البطل كيو إلا أن وقف بخنجر مصوب إلى صدر هوان كنج، دوق مملكة تشي، وطالبه بتصحيح أوضاع معاهدة الاستسلام، إذ أن مملكة لوو صغيرة وضعيفة، فما كان من الدوق، الذي عجز حراسه عن الاقتراب منه خوفاً على حياته، إلا أن وافق على مطالب كيو.

وقتها سحب كيو خنجره وذهب ليقف وسط الجموع المرعوبة دون أن يتغير لونه أو يرجف له جفن. أراد الدوق بعدها الرجوع في كلمته التي أعطاها، لكن مستشاره كوان شونج أوضح له توابع عودته في كلمته التي أعطاها، وهكذا حفظت شجاعة كيو المملكة من فقدان نسبة كبيرة من أراضيها التي خسرتها في ثلاث هزائم.

يمكن تشبيه التكتيك الماهر بالثعبان شواي-جان، الذي تجده في جبال شانج،

فمـا أن تضرب هذا الثعبـان عند رأسه حتى تجده يهـاجمك بذيله، ومـا أن تضرب ذيله حتى يهاجمك برأسـه، وما أن تضـربه في منتصف جسـمه حتى يهجم عليك برأسه وذيله. (كلمة شواي-جان تعني السرعة المفاجئة في اللغة الصينيـة، وهي مـأخـوذة من عـدم تردد هذا الثـعـبـان في الهـجـوم الصـاعق، وهـي تطورت اليـوم لتصبح مرادفاً عسكريّاً للمناورات الحربية).

إذا سألتني هل يمكن جعل الجيش يقلد ثعبان شواي-جان، أجيبك نعم.

(اجعل مقدمة ومؤخرة الجيش سريعة الرد عند الهجوم على أحدهما، كما لو كانتا عضوتين في جسد واحد).

فـإذا كـان رجـال وو ورجـال يوو ألد الأعـداء، فـهـمـا إذا عـبـرا النهـر في قـارب واحد وأحـاطت بهم عـاصـفـة هوجـاء فـسـيـهـبـون لمسـاعـدة بعضـهـمـا البـعض تمامـاً مثلما تساعد اليد اليمنى اليسرى.

(المعنى أنـه إذا كـان العدوان سـيـسـاعـدان بعضـهـمـا في وقت الخطر المحدق، فكيف سيـساعـد جزءان من الجيش بعضهمـا البعض، وهمـا يربطهمـا معـاً رابط الاهتمـام والمصلحة المشتركة، على أن ذلك أمـر يجب التعـامل معه بـحذر، فكم من الجيوش دمرتها قلة الاتصالات فيما بينها، خاصة في حالة الجيوش المتحالفة).

لا يكفي ربط الخيـول حتى لا تهـرب، أو غـرس عـجـلات العـربات في الرمـال حتى لا يفر الجنود.

(هذه كانت وسـائل الهـروب على وقت سـون أتزو، وهـي كناية عن الوسـائل التي تظن بهـا أنك ستمنع الجنود من الهرب من أرض المعـركة. وفقاً لوجهة نظـر سـون أتزو، ما سيمنع الجنود فعلاً من الهرب هو تماسكهم معاً ووحدة هدفهم).

المبدأ الذي على أساسه تدير وتنظم شؤون الجيـش هو عن طريق وضـع معيار شجاعة يجب على الجميع بلوغه.

(أن يكون الجنود جميعـاً على قلب رجل واحـد، أو على الأقل على مستويات متقاربة من الشجاعة).

كيف تحقق أقصى استفادة من القوي والضعيف؟ هذا السؤال يتضمن الاستعمال الصحيح (الأفضل) للأرض.

(أن تستفيد من القوي والضعيف معاً هو عن طريق جعل كلاهما مفيدين باستخدام المزايا المختلفة للأرض، فمثلاً القوات الضعيفة المتحصنة في مواقع قوية، سيمكنها القتال لذات الفترة الزمنية التي كانت لتمكثها القوات القوية في أراض أقل تحصناً وأكثر انفتاحًا).

القائد الماهر يقود جيشه كما لو كان يقود رجلاً واحداً، بسلاسة ويسر.

عمل القائد هو أن يبقى هادئاً فيضمن السرية، وأن يكون مستقيماً وعادلاً، فيضمن استقرار النظام العام.

ويجب عليه أن يثير حيرة ضباطه وجنوده (يخدع عيونهم وآذانهم) عن طريق المظاهر والتقارير الخادعة، وبذلك يبقيهم في حالة جهل تام. (لا يجب على جنودك مشاركتك خططك في البداية، بل فقط عليهم أن يبتهجوا معك بالنتائج الإيجابية المترتبة على تخطيطك هذا. أول أهم مبادئ الحرب أن تضلل وتحيّر وتفاجئ العدو، لكن ماذا عن تضليل قواتك ورجالك؟ السرية التامة الكاملة تكون أحياناً من مفاتيح تحقيق النصر، حتى مع قواتك، والذين سيتصرفون وقتها بشكل طبيعي، ما يزيد من درجة تضليل العدو المُراقب لك).

عبر تعديل ترتيباته وتغيير خططه (لا يستعمل خطة ما أكثر من مرة) سيُبقي القائد الحكيم عدوه غير واثق في نواياه، غير واثق في المعلومات التي لديه عنه. عبر نقل معسكرات الجنود وإتباع طرق ملتوية غير مباشرة، سيمنع العدو من توقع الهدف وراء مثل هذه التحركات. (لدى شانج يوو تعليق ذو أهمية: حقيقة أن الحرب خدعة لا تتوقف عند حدود العدو وحسب، بل تتسع فتشمل رجالك وجنودك).

عند اللحظة الحرجة/الحاسمة، يسلك القائد سلوك من تسلق قمة مرتفع عال ثم دفع السلم الذي تسلق عليه، فيحمل رجاله إلى أرض العدو دون أن يظهر يده. أي يأخذ خطوات مصيرية تجعل من المستحيل على الجيش أن يتراجع، مثل

حرق سفن نقل الجنود التي أقدم عليها طارق بن زياد وقت فتح الأندلس حين قال لجنوده العدو من أمامكم والبحر من خلفكم.

سيحرق قواربه ويحطم قدور الطعام، مثل راع يسوق قطيعاً من الغنم، فيقود جنوده عبر هذا الطريق وذاك، دون أن يعلم أحد منهم إلى أين هو ذاهب.

حشد الجنود والدفع بهم نحو الخطر - هذا هو عمل القائد. (ما يقصده سون تزو هو أنه بعد الانتهاء من التحركات والمناورات ولقاء العدو، هنا يجب عدم التأخر/التردد في إطلاق السهام نحو قلب العدو).

المقاييس المختلفة المناسبة للحالات التسعة للأرض هي: مدى ملائمة التكتيكات الهجومية أو الدفاعية، والقوانين الأساسية للطبيعة البشرية؛ هذه هي الأشياء التي يجب دراستها حتماً بعناية.

عند احتلال أرض العدو، يكون المبدأ العام هو أن التغلغل في أعماق بلاد العدو يجلب التماسك والتلاحم لجيشك، بينما التغلغل لمسافة قصيرة يعني التشتت والتشرذم.

عندما تترك بلادك وراءك، وتجتاز بجيشك أراض مجاورة تفصلك عن بلادك، فأنت وقتها فوق أرض حرجة. (يجب عليك أن تقضي حاجتك منها سريعاً وتمضي في طريقك - على أن هذه حالة نادرة الحدوث). عند توفر خطوط اتصالات في الاتجاهات الأربعة، فالأرض تكون ذات طرق عامة متقاطعة.

عندما تتوغل في أعماق بلد ما، فهي ستصبح أرضاً خطيرة، وعندما تتوغل لمسافة قصيرة، فهي أرض سهلة الانقياد.

عندما تصبح حصون العدو خلفك، والممرات الضيقة أمامك، فالأرض تطبق عليك. عند انعدام الملاذ الآمن أو الملاجئ، فأنت تقف على أرض تدعو إلى اليأس.

لذلك وعند الوقوف فوق أرض يائسة، سوف أُلهم رجالي وابعث فيهم الأمل عبر وحدة الهدف. (اتبع منحًى دفاعياً وتجنب المعركة).

عند الوقوف فوق أرض سهلة الانقياد، فأتأكد وقتها من توفر صلات قريبة بين جميع وحدات جيشي.

فوق الأرض المتصلة سأستعجل مؤخرة الجيش (فلا تطول المسافة بينها وبين مقدمة الجيش، وحتى يصل الاثنان معًا إلى الهدف المطلوب في وقت واحد، لكن بما لا يتعارض مع مبدأ عدم الوصول إلى أرض المعركة ونحن في حالة إرهاق من التحركات والمناورات).

فوق الأرض المفتوحة، سأبقي عيناً حذرة بشدة على دفاعاتي.

وفوق الأرض ذات الطرق العامة المتقاطعة، سأقوي تحالفاتي.

فوق الأرض الخطرة، سأعمل على توفير خطوط إمداد متواصلة. (والعهدة على المعلقين: عبر السرقة والنهب وجمع المئونة، وليس - كما سيتراءى للكثير منكم- عبر خطوط اتصال غير مقطوعة مع قواعدنا الأساسية). فوق الأرض الصعبة، سأستمر في المشي السريع فوق الطريق.

فوق الأرض المُطبقة، سأسد أي طريق محتمل للهرب. (تفسير ذلك قد يكون لحماية موقعنا الحالي، لكن الغرض الفعلي والحقيقي هو أن نُطبق كالصاعقة على خطوط العدو فنفصلها ونفتح فرجة نمر منها إلى بر الأمان). فوق الأرض اليائسة، سأعلن للجنود عن انعدام الأمل في إنقاذ أرواحهم. (اردم آبارك واكسر قدورك واحرق أمتعتك، واجعل حقيقة كون القتال السبيل الأوحد للنجاة واضحة تماماً في عيون الجنود).

(ملحوظة من الترجمة الإنجليزية، من الواضح أن النص الأصلي الذي كتبه سون تزو لم يصل إلينا كما كتبه هو، بل تعرضت أجزاء منه للضياع، وعابه عدم الترتيب على الوجه الذي أراده له سون تزو، ونلاحظ ذلك من الطول المضاعف لهذا الفصل، ومن القصر غير المبرر للفصل الثامن - وعدم تناغم عنوانه مع

محتوياته، ومن تكرار التحدث عن الحالات التسعة، ثم ذكر بعضاً منها لا كلها، وتكرار ذكرها في الفصل الحادي عشر، ولذا وجب أخذ ذلك كله في الحسبان عند القراءة وملاحظة تعارض بعض النقاط مع بعضها البعض).

ذلك لأن من طبيعة الجندي إبداء أقصى درجات المقاومة عند حصاره، وأن يقاتل بشراسة الأسد الجريح عند عجزه عن مساعدة نفسه، وأن يطيع طاعة عمياء عندما تحيق المخاطر به.

لا يمكن لنا الدخول في تحالفات مع جيراننا من الأمراء حتى نلم جيدا بمخططاتهم وأهدافهم. لسنا مهيئين لقيادة مسيرة الجيش ما لم نكن على دراية ومعرفة تامة بطبيعة تضاريس الأرض التي سيسير عليها الجيش؛ جبالها وغاباتها، أخطارها وأجرافها، مستنقعاتها وأخوارها. لن نتمكن من استغلال المزايا الطبيعية لصالحنا ما لم نستفد من المرشدين المحليين. (هذه الجمل الثلاثة مكررة من الفصل السابع ١٢-١٤ لأهميتها ولتشكل مدخلاً لما سيلي).

الجهل بأي من المبادئ التالية لا يتناسب مع أمير حرب.

عندما يهجم أمير حرب على ولاية قوية، تتجلى قدراته القيادية في صورة منع تركيز العدو لقواته، وهو يلقي الرعب في قلوب خصومه، ويمنع حلفاء الخصوم من الاشتراك في المعركة ضده.

(تشتيت صفوف العدو يمنحك تفوقاً في جانب القوة، هذا التفوق يرهب العدو، هذه الرهبة هي التي ستمنع جيران العدو من الهبوب لمساندته، وإذا خاف الجيران فذلك سيلقي الخوف في قلوب الحلفاء فيمنعهم من الانضمام للعدو).

أمير الحرب لا يكافح من أجل التحالف مع كل ومختلف الناس، وهو لا يزيد من قوة الولايات الأخرى. أمير الحرب يقوم بتنفيذ مخططاته، مع إرهاب خصومه. بذلك يتمكن الأمير من الاستيلاء على مدن الخصوم وتدمير مملكاتهم.

امنح المكافآت دون الاعتداد بالقواعد المنظمة لذلك (كافئ بسخاء الشجاعة،

وعاقب الجبن والانسحاب)، أصدر الأوامر دون الاعتداد بالترتيبات السابقة (لمنع تفشي الخيانة، فيجب عليك إصدار مثل هذه النوعية من الأوامر عند رؤية العدو، وكافئ بسخاء عندما تجد أمارات الشجاعة على الجنود) وبذلك ستتمكن من التعامل مع الجيش بأكمله كما لو كنت تتعامل مع جندي واحد.

واجه جنودك بالأوامر، ولا تجعلهم يعرفون مخططك (لا تبرر أو تفسر للجنود قراراتك).

عندما تتضح النتائج الإيجابية لقراراتك، اجعلها واضحة جداً أمام أعين الجنود وأنظارهم، ولا تخبرهم أي شيء عندما تتأخر مثل هذه النتائج الإيجابية.

سر بجيشك إلى قلب الخطر، وهو سينجو منها، ادفع به إلى المضايق والمواقف العصيبة اليائسة، وهو سيخرج منها سالمًا.

لأنه بالتحديد عندما تقف قوة ما في طريق الخطر، فهي قادرة على تحقيق النصر (الخطر له تأثير مقوٍّ يُظهر شجاعة الرجال).

الانتصار في الحرب يتحقق عن طريق استعدادنا التام لتوفيق أوضاعنا بدقة حسب غرض العدو.

(تظاهر بالغباء، بالانصياع لرغبات العدو وتحقيقها. إذا أظهر العدو رغبته في التقدم، اظهر له ما يغريه ويشجعه على ذلك؛ إذا كان العدو متلهفاً للانسحاب، تأخر وتلكع عن عمد كي تشجع العدو على تراجعه. الغرض في النهاية هو دخول العدو حالة من التكاسل والتراخي حتى يكون في وضع مُزري قبل أن نهجم عليه).

من خلال إصرارنا المستمر على تطويق العدو (ملازمته من اتجاه واحد) فسننجح على المدى الطويل (حرفياً ألف وحدة قياس مسافة صينية).

هذا ما يسمى القدرة على تحقيق أي شيء ببراعة ومكر تام.

في ذلك اليوم الذي تتولى أنت فيه القيادة (بعد هزيمة العدو ومقتل قائده)

قم بسد جميع الممرات على الجبهة، ودمر نقاط المرور (الجوازات في يومنا هذا) وأوقف مرور جميع البعثات (من وإلى داخل بلد العدو).

كن شديد الصرامة في مجلس الشورى (كن شديد الإصرار على أن يقر الحاكم ويصدق على خططك) حتى تكون دائماً سيد الموقف متحكماً في مجريات الأمور.

إذا ترك العدو باباً مفتوحاً، فيجب عليك أن تهرع داخلاً فيه.

أحبط مخططات عدوك عبر الاستيلاء على ما هو غال وثمين في نظر العدو، ثم احتل برقة وخبث حتى تتحكم في الوقت الذي سيصل فيه العدو إلى أرض المعركة.

إذا تمكنت من احتلال نقطة هامة في نظر العدو - لكن العدو لم يظهر بعدها في ساحة المعركة ليستعيدها، فالأفضلية التي حصلت عليها لم تستفد منها بشكل عملي. ولذا، فعلى من ينوي احتلال موقع ذي أهمية للعدو، عليه أن يبدأ بتدبير موعد بارع وخبيث للقاء العدو، ثم يبدأ في تملقه ومداهنته حتى يحضر العدو في الموعد الذي تحدده .

(هذا الموعد تعبّر عنه من خلال جواسيس العدو، الذين سيعودون ومعهم من المعلومات ما تريده لهم، وبذلك نكون أظهرنا نوايانا بطريقة بارعة وماكرة. يجب علينا التحرك بعد تحرك العدو، لكن علينا الوصول لأرض المعركة قبل وصول العدو فنحتل هذه النقطة الثمينة).

سِر في الطريق الذي تحدده القاعدة، وقم بتوفيق أوضاعك حسب العدو حتى يمكنك الدخول في معركة حاسمة مصيرية. (النصر هو الشيء الوحيد الذي يهم، ولا يمكن تحقيقه باتباع الطرق التقليدية المعتادة. لم ينتصر نابليون في حروبه إلا بعدما كسر كل قاعدة حربية قديمة تمسك بها المهزومون على يديه. تكيف مع تكتيكات العدو حتى تلوح الفرصة السانحة، ثم تقدم واشتبك معه في معركة تحدد مصير القتال).

في البداية، أظهر خجل العذراء اليافعة، حتى يكشف العدو عن ثغرة في صفوفه، بعدها نافس الأرنب البري في سرعته الشديدة وأنت تهجم على العدو، فيكون الوقت متأخراً عليه كي يقاومك أو يصد هجومك.

الفصل الثاني عشر

الهجوم بالنار

في حالة الهجوم بالنار لابد من توافر بعض الظروف الملائمة والموارد اللازمة لإطلاق النار، والتي يجب أن تكون في متناول الأيدي، وهناك بعض الفصول المناسبة للهجوم بالنار وأيام خاصة لإشعال الحريق، وأفضل الفصول لإطلاق النار هي الفصول الجافة غير الممطرة - وأفضل الأيام هي التي ليس فيها رياح، كذلك الأيام القمرية، حيث تتاح لك رؤية الحوائط والأشياء على ضوء القمر .

إن كسب المعارك واحتلال الأهداف ولكن من دون النجاح في استغلال النصر هو نذير شؤم وهو «هدر الوقت»، لذلك يقال إن الحكَّام المستنيرين يناقشون الخطط، والقادة الأكفياء ينفّذونها بانتباه شديد.

إذا كان ما تقوم به يتفق مع مصلحة الدولة فتحرَّك.

وإذا لم يكن ما تقوم به في مصلحة الدولة فلا تتحرَّك.

هناك خمسة طرق للهجوم بالنار:

١- أن تحرق جنود العدو في معسكراتهم.

٢- أن تحرق مخازن العدو (مخازن الذخيرة والمئونة والوقود).

٣- أن تحرق وسائل النقل والإمدادات.

٤- أن تحرق أسلحة العدو وذخيرته.

٥- أن تقذف النار بين صفوف العدو (مثل كرات اللهب والأسهم المشتعلة).

ولكي نقوم بالهجوم، يجب أن يكون لدينا طرقٌ ملائمة لذلك، ويجب أن تكون المكونات والأدوات اللازمة للهجوم في حالة استعداد تام على الدوام.

و هناك موسم ملائم للهجوم بالنار، وهناك أيام بعينها تناسب إشعال الحرائق الواسعة.

الموسم الملائم هو عند جفاف الطقس بشدة، والأيام المناسبة هي عندما يكون القمر هلالاً (سابع يوم في الشهر القمري) و بدراً (يوم ١٤الخ ومحاقاً (يومي ٢٧ و٢٨) إذ أن هذه الأيام الأربعة تشهد رياحاً نشطة.

عند الهجوم بالنار، يجب الاستعداد لتطورات خمسة يمكن حدوثها:

١- عندما تمتد النيران من قلب معسكر العدو إلى خارجه، عندها يجب الهجوم على الفور من الخارج.

٢- إذا امتدت النيران لكن جنود الأعداء التزموا الهدوء ورباطة الجأش، فانتظر حلول الوقت الملائم ولا تهاجم. (الغرض من الهجوم بالنار بث الفوضى في صفوف العدو - فإذا لم يُصب العدو بالذعر فهذا معناه أنه مستعد لك ينتظرك فيجب الحذر).

٣- عندما تبلغ ألسنة اللهب أقصى ارتفاع لها، اتبعها بالهجوم إذا كان ممكناً، فإن لم يكن ممكناً فابق مكانك. (إذا وجدت فرجة فاستغلها وتقدم، وإذا كانت المصاعب جساما فالزم مكانك).

٤- إذا لاحت الفرصة للهجوم بالنار من خارج معسكر العدو، فلا تنتظر حتى يحترق المعسكر من داخله، لكن اختر الوقت المناسب للهجوم (قد لا يكون في معسكر العدو أي شيء تشتعل فيه النار فيطول انتظارك وقتها لاشتعال النار).

٥- عندما تشعل ناراً، أشعلها في الجهة التي تهب منها الريح. لا تهاجم باتجاه الريح. (إذا حاصرت العدو بين جيشك وبين النار المشتعلة التي تهب باتجاهه فسيستبسل في القتال، كما ستتضرر أنت من النار أيضا).

الريح التي تهب في وقت النهار تستمر لفترة طويلة، لكن نسمات الليل تهدأ بسرعة.

في كل جيش، يجب أن تكون التطورات الخمسة المتصلة بالنار معلومة جيداً، ويجب حساب حركة النجوم، ومعرفة الوقت لحساب الأيام بدقة. (لمعرفة أوقات هبوب الرياح، وللاستعداد أيضاً للعدو إذا كان بدوره ينتظر موسم الرياح).

إذن أولئك الذين يستعملون النار لتساعدهم في الهجوم يتحلون بالذكاء،

وأولئك الذين يستخدمون المياه لتساعدهم في الهجوم يحصلون على قوة إضافية.

عن طريق المياه يمكن اعتراض العدو، لكن لا يمكن سرقة جميع ممتلكاته. (للمياه مفعول كبير، لكنه لا يعادل تأثير النار التدميري، كما أن المياه يمكنها إطفاء النار وإفقادها تأثيرها إذا كان معسكر العدو بالقرب من مصدر مياه).

شقيٌّ مصيره - من يحاول الانتصار في معاركه والنجاح في هجومه دون تنمية روح المغامرة لدى جنوده، وتكون النتيجة ضياع الوقت والجهود. (يجب مكافأة المجيدين وتوزيع الغنائم، كما يجب تحين الفرص واستغلالها على الفور).

الحاكم المستنير يضع خططه مقدماً، والقائد الناجح يرعى مصادره وجنوده (عن طريق الثواب والعقاب والمكافآت).

لا تتحرك حتى ترى فرصة تنتهزها، ولا تستعمل قواتك ما لم يكن هناك فائدة ترجوها، ولا تقاتل ما لم يكن موقفك حرجاً.

لا يجب على الحاكم أن يضع قواته في الميدان استجابة لثورة غضب، ولا يجب على القائد أن يخوض معركة فقط بسبب جرح طال كبريائه.

إذا كان يصب في مصلحتك، تحرك للأمام، وإلا فالزم مكانك.

الغضب - مع مرور الوقت - قد يتحول إلى بهجة، ومسبب الغيظ يمكن التغلب عليه بالقناعة ورضا النفس.

لكن عندما يتم تدمير مملكة بأكملها فلا يمكن إعادتها كما كانت من جديد (الموتى لا يعودون للحياة).

إذن الحاكم المستنير يحترس، والقائد العام يكون مليئاً بالحذر. هذه هي السبيل لإبقاء الدولة في حالة سلام (داخلي وخارجي) مع إبقاء جيشه كاملاً سليماً ومستعدّاً.

الفصل الثالث عشر

استعمال الجواسيس

وكما قلنا ونعيده ثانيا لأهميته.. إذا عرفت عدوَّك وعرفت نفسك فليس هناك ما يدعو إلى أن تخاف نتيجة مائة معركة ، وإذا عرفت نفسك ولم تعرف عدوّك فإنك تقاسي من هزيمة مقابل كل انتصار ، وإذا لم تعرف نفسك ولم تعرف عدوَّك فإنك أحمق وسوف تواجه الهزيمة في كل معركة.

إن تجميع مئة ألف من الجنود الرجال، والسير بهم لمسافات طويلة في مناورات حربية، كفيل بأن يوقع خسائر ثقيلة على أفراد الشعب ويستنزف موارد الدولة، إذ سيبلغ معدل الإنفاق الحكومي اليومي آلاف الأونصات (عملة) من الفضة، وسينتشر الهرج والمرج وتعم الفوضى داخل البلاد وخارجها، وسيسقط الجنود من الإرهاق جراء سيرهم المسافات الطويلة على الطرق، وستزيد معاناتهم كلما أوغلوا في الأراضي المعادية، وسيتضرر الآلاف من الأسر في أعمالهم وأرزاقهم.

قد تقابل الجيوش المتحاربة بعضها البعض في حروب مستنزفة تستمر سنين، يصارع خلالها كل طرف لاقتناص النصر المظفر، والذي قد يتحدد في يوم واحد. أن تبقى جاهلاً بحالة العدو لأنك ترفض إنفاق حفنة أونصات من الفضة لشراء ذمم ورواتب الجواسيس لهو عمل يمثل قمة اللاإنسانية.

من يتصرف بهذه الطريقة ليس بقائد كفء للأفراد، ولا يقدم يد المساعدة لحاكمه، وليس بجالب للنصر.

وهكذا - فإن العنصر الذي يعين الحاكم الحكيم والقائد العسكري المحنك على تنفيذ الضربات القوية وتحقيق النصر، التي لا يمكن للرجال التقليديين تحقيقها، هذا العنصر هو المعرفة المسبقة بأمور العدو.

هذه المعرفة المسبقة لا يمكن الحصول عليها عن طريق استحضار الأرواح أو استجداء الآلهة، أو بناء على سنوات الخبرة والتوقعات المدروسة، أو من الحسابات الفلكية أو النجوم.

تحركات ونوايا العدو الفعلية يمكن معرفتها فقط من خلال رجال آخرين.

هكذا تبرز الحاجة لاستخدام الجواسيس، الذين ينقسمون إلى خمس فئات:

١- المحليون (المواطنون).

٢- الداخليون.

٣- المنشقون (المزدوجون).

٤- الهالكون (المضللون) .

٥- الاستراتيجيون (الباقون أحياء).

عندما تعمل جميع فئات الجواسيس معاً في وقت واحد وفي انسجام تام، فلا يستطيع أحد وقتها اكتشاف هذا التنظيم السري. ذلك هو أكثر التنظيمات الاستخباراتية أهمية عند الحاكم.

استعمال جواسيس محليين يعني توظيف خدمات القاطنين في الأحياء السكنية. (يشرح تو مو هذه النقطة بقوله: تودد إلى سكان أحياء العدو واكسبهم إلى صفك ليكونوا جواسيس لك).

استعمال جواسيس داخليين يعني الاستفادة من ضباط جيش العدو. (يستطرد تو مو: عليك الاقتراب بحذر من ضباط وعساكر العدو المتذمرين، الذي تعرضوا لتخطيهم في الترقيات أو الطماعين أو غير الراضين عن أحوالهم العامة، أو المتمردين المحكوم عليهم بعقوبات، أو القيادات العسكرية المهمشة التي تريد إلحاق الفشل بصفوفها لتثبت أنها على حق فيما ذهبت إليه من رأي).

استعمال جواسيس منشقين يعني بسط السيطرة على جواسيس العدو وجعلهم يعملون لصالحك. (لا زلنا مع تو مو الذي يعقب قائلاً إن المنشقين يعملون على إعطاء معلومات غير صحيحة للعدو عنا، ولا يقتصر الأمر على استمالة أفراد ليعملوا جواسيس لنا، إذ يمكن التستر على جواسيس العدو لدينا وعدم إشعارهم بأن أمرهم قد اكتشف، مقابل الحرص على تزويدهم بما نريده من معلومات، لينقلوها بدورهم إلى العدو، دون فطنتهم للأمر).

استعمال جواسيس مضللين هالكين ، لا ينفذون سوى أعمال محددة في وضح

النهار بغرض الخداع، لكي يعرفهم جواسيس العدو ويبلغون عنهم العدو، وتزويدهم بمعلومات زائفة، حتى إذا تم اكتشافهم والقبض عليهم واعترفوا تحت ضغط تعذيب العدو، كانت المعلومات التي باحوا بها للعدو مضللة غير حقيقية.

الجواسيس الباقون على الحياة هم من يعودون أحياء ومعهم الأخبار من معسكر العدو.

لا شيء في أمور الجيش كله يفوق أهمية الحفاظ على علاقات قريبة وحميمة مع الجواسيس، كما لا يجب أن يفوق أي شيء مكافأة هؤلاء الجواسيس بسخاء، ولا يجب أن يفوق أي شيء السرية التامة للتعامل مع الجواسيس. يجب أن يتمكن الجواسيس من الوصول للقائد بكل سهولة وفي كل وأي وقت. الجواسيس -بحكم طبيعتهم- دائماً ما يتعاونون مع من يدفع أكثر، لذا لا يجب أن يعرفوا أي شيء أكثر مما ينبغي، ويجب الحرص منهم دائماً، إذ يمكن أن يكونوا مزدوجين أو ينشقوا عليك.

لا يمكن توظيف الجواسيس بدون مبادئ عامة حكيمة ومفهومة وواضحة. يجب أن يكون القائد عالماً بحقائق الأمور، فيعرف الصدق من الكذب، ويعرف الأمين من المخادع.

لا يمكن إدارة شؤون الجواسيس بنجاح من دون إظهار النوايا الطيبة والوضوح التام والصدق الكامل في التعامل. يجب أن تكسب ثقة الجاسوس تماماً.

بدون إعمال العقل والتفكير في تقارير المعلومات الواردة من الجواسيس، لا يمكن لأحد أن يكون واثقاً تمام الثقة من صحة هذه المعلومات الاستخبارية.

كن دقيقاً - كن بارعاً، واستعمل الجواسيس في شتى الأمور والمجالات.

إذا تم تسريب معلومات سرية إلى أي جاسوس قبل حلول الوقت المناسب لذلك، اقتل هذا الجاسوس وكل من نقل إليه هذا السر. قتل مثل هذا الجاسوس الشارد إنما هو عقاب له، وقتل المُسرب هو للقضاء تماماً على هذا التسريب.

بغض النظر عما إذا كان الهدف هو قهر عدو أو غزو مدينة أو اغتيال فرد ما،

فيجب أن تبدأ بمعرفة قائمة أسماء الجميع، من مساعدين وعاملين وحراس، ويجب توجيه الجواسيس ليؤكدوا صحة هذه الأسماء. يجب بحث إمكانية استمالة أي من هؤلاء بالرشوة بالمال.

يجب البحث عن جواسيس الأعداء الذين قدموا إلينا من أجل التجسس، وأن يتم إغراؤهم بالرشاوى، وأن يتم إبعادهم وتسكينهم في أماكن بعيدة ومريحة. بذلك سينشقون ويصبحون جواسيسَ لنا مستعدين لخدمتنا.

من خلال المعلومات التي يمدنا بها الجواسيس المنشقون، يصبح بإمكاننا الحصول على وتوظيف جواسيس محليين وداخليين.

بناء على هذه المعلومات أيضاً، يمكننا تزويد الجواسيس الهالكين (المضللين) بمعلومات زائفة يمررونها للعدو.

أخيراً، وبناءً على كل هذه المعلومات التي أمدنا بها الجواسيس بمختلف فئاتهم، يمكن استخدام فئة الجواسيس الاستراتيجية في مهمات محددة.

الغرض والغاية من التجسس بكل صوره الخمس السابقة هو معرفة أمور العدو، تلك المعرفة التي يتم الحصول عليها ابتداء من الجواسيس المنشقين، ولذا يجب معاملة أولئك الجواسيس بكل سخاء وكرم.

وكأمثلة على ذلك، فإن التاريخ القديم يخبرنا عن بزوغ نجم سلالة ين بسبب آي تشي الذي خدم تحت هسيا، وكذلك صعود سلالة تشو بسبب لو يا الذي خدم تحت ين.

الحاكم المتنور والقائد الحكيم هما من يستخدمان أفضل المعلومات الاستخبارية العسكرية لأغراض التجسس وبذلك يحققان النتائج العظيمة.

الجواسيس هم أكثر العناصر أهمية، لأن قدرة الجيش على رؤية العدو وفهمه ومن ثم الاستعداد له تعتمد عليهم، على أن الإفراط في الاعتماد على الجواسيس قد يؤدي لأثر عكسي، لذا فيجب الموازنة بين جميع العناصر الاستخباراتية والمعلوماتية.

وجواسيس الوطن هم الذي يجندون من أبناء وطن العدو، ولا بد للقيادة العليا أن تتسلح بالمعرفة الكاملة لمهام الأنواع الخمس من الجواسيس، وأن تعرف أنها تعتمد على الجواسيس المجندة، لذا يجب أن يعاملوا بقدر كبير من السخاء، ومن هنا فإن القيادة العليا المستيرة فقط والقائد الحكيم هما القادران على توظيف أكثر الناس ذكاء مثل الجواسيس وتحقيق نتائج عظيمة، فالعمليات الجاسوسية ضرورة من ضروريات الحرب يعتمد الجيش عليها في كل تحركاته.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

孫子兵法

■ لم يكن من الغريب أن يُعتَبَر كتاب " فن الحرب " أحد أهم مائة كتاب في تاريخ البشرية. فقد اشتهر هذا الكتاب في المحافل العسكرية وبين المتخصصين في العلوم الاستراتيجية بأنه "الكتاب المقدس للدراسات العسكرية." وفصول الكتاب الثلاثة عشر لا تأتي سردا لأحداث معينة، بقدر ما هي جمل أو فقرات إشارية ذات مغزى تكتيكي عام، سوف نختار بعضها لتوضيح أفكار الحكيم الصيني سون أتزو الصالحة لكل زمان ومكان. أول ترجمة لهذا الكتاب كانت منذ مائتي عام إلى الفرنسية، وأن القادة العسكريين استفادوا منه في عملية "عاصفة الصحراء" ١٩٩١، وقبلها استفاد منه نابليون والقادة الألمان، ويتضح من ذلك أن الكتاب الذي وضع منذ حوالي ٢٥ قرنا لا يزال صالحا للتطبيق حتى اليوم في مجال إدارة الصراع، ليس الصراع العسكري فحسب، ولكن الصراع على عدة مستويات: الفردية، والجمعية، والقومية، والدولية، وليس في المجالات العسكرية فحسب، ولكن أيضا في المجالات السياسية والإدارية وحتى الرياضية. كتاب " فن الحرب " الذي حرصت القيادة الأميركية على أن يحمله كل جندي ذهب إلى حرب تحرير الكويت لقراءته، والذي اعتادت الشركات اليابانية على أخذ النصائح التي حفل بها من أجل تطبيقها. هذا الكتاب الذي يمكن تطبيق ما جاء به في عالم الاقتصاد والتجارة والسياسة والرياضة، لا يركز على تحقيق النصر فحسب، بل أيضا على تجنب الهزيمة وتقليل وتفادي الخسائر بأكبر قدر ممكن. كما يشرح كيف يمكن أن يتحقق النصر مع تجنب القتال إذا كان ذلك ممكنا .



